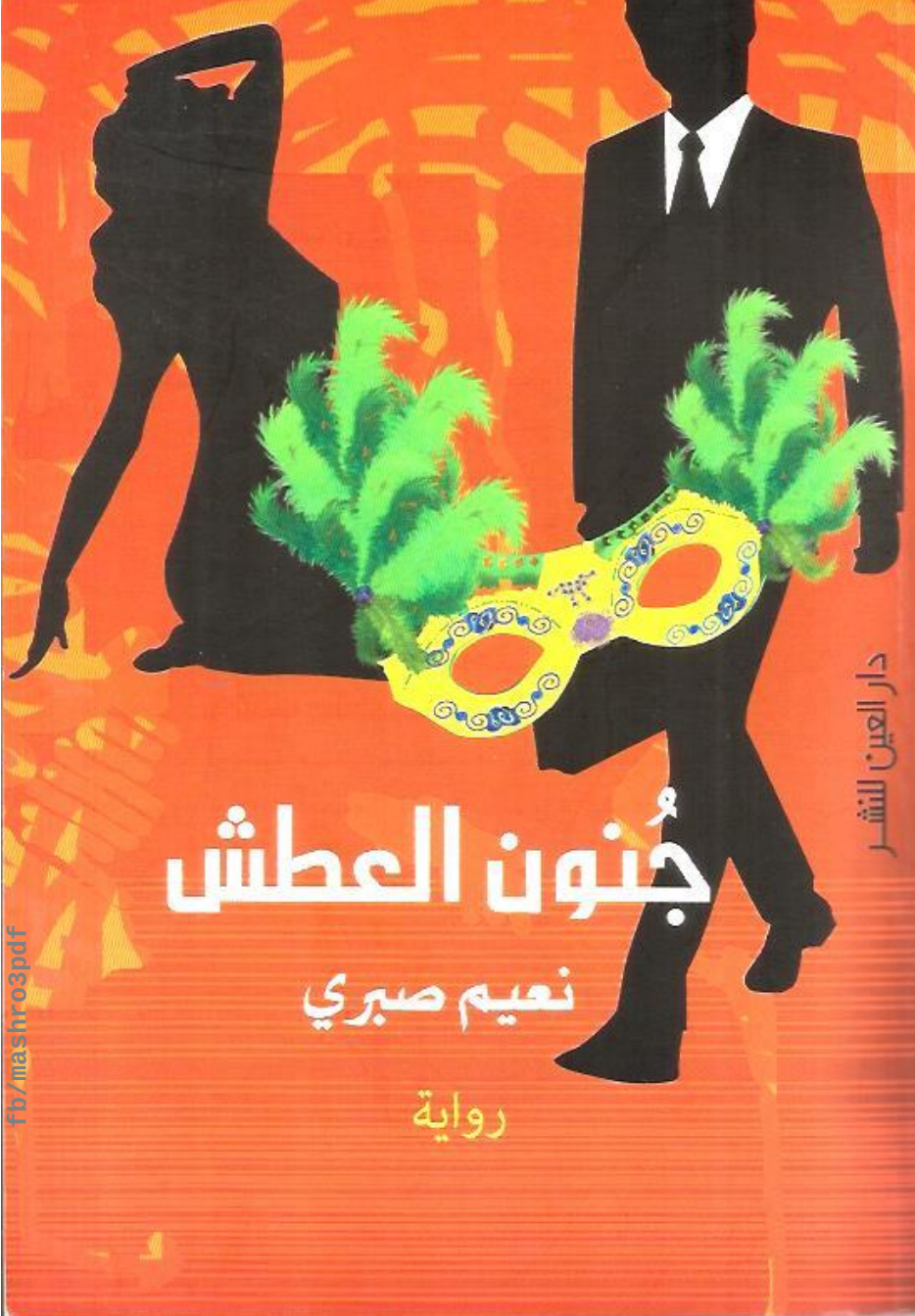

جُنون العطش

نعيم صبري

رواية

دار العين للنشر

fb/mashro3pdf

جنون العطش

fb/mashro3pdf

جنون العطش

رواية

نعيم صبري

الطبعة الأولى / ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر

٤ ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة

تليفون: ٢٣٩٦٢٤٧٥ ، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦

E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار

أ.د. أحمد شوقي

أ. خالد فهمي

أ.د. فتح الله الشيخ

أ.د. فيصل يونس

أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي

المدير العام

د. فاطمة البودي

الغلاف: غادة خليفة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٥/١٤٦٥٠

I.S.B.N 978 - 977 - 490 - 330 - 4

fb/mashro3pdf

جنون العطش

رواية

نعيم صبري

دار العين للنشر

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الفصل الأول

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

1

أي ضيق أفقٍ هذا!.. هل من المعقول أن يظل الإنسان ساكنا بلا تغيير رغم تعدد الفرص ووفرتها؟.. صحيح أن الشغل ناجح وكبير. لكن ما المانع من التوسع إذا كانت الفرص متوفرة؟.. المجالات كثيرة والتنوع ميزة كبيرة.. حتى إذا كسدت بعض الأنشطة فإنها يمكن أن تتدعَّم بغيرها من الاستثمارات.. لا يريد أن يستمع لي.. اللعنة على هذا التخلف!.. لكنه أبوك.. ماذا يمكن أن تفعل؟.. وهو صاحب الأمر والنهي.. ينهي النقاش دائما بقوله.. عندما أموت افعل ما شئت.. الشركة شركته وهو الذي أسسها ووضع دعائمها إلى أن أصبحت واحدة من أكبر شركات المقاولات في مصر.. يكتفي بذلك ولا يطمح في تنويع الاستثمارات.. رغم العروض المغرية التي عرضت عليه من رجال الأعمال.. لقد اقترحتُ عليه العديد من المقترحات، وأتيت إليه بشركاء مميزين

fb/mashro3pdf

وماليين محترمين.. مصريين وعربا.. مشروعات في مجالات السياحة والفندقة.. مشروعات في المجال التجارى.. توكيلات تجارية مغرية.. سلع مطلوبة للسوق يمكن أن نقوم باستيرادها بإمكاناتنا المالية الكبيرة.. لكنه لا يريد إلا المقاولات.. تجمَّد عند ما يفعله.. يقول إنه لا يفهم في شيء سوى المقاولات.. لقد قلت له إنني سأكون المسئول.. لكن بلا جدوى.. لا يريد أن يغامر.. أكاد أجن..

– يا متر.. بيرة تانية من فضلك.

أنهى خالد موعده مع أحد رجال الأعمال في كافتيريا فندق سميراميس إنتركونتيننتال، واستقل المصعد متوجهًا إلى البار. فكر في أن الوقت ما زال مبكرًا وأراد أن يتناول مشروبًا ويفكر في طريقة يستطيع بها اختراق عناد والده قدري بك، ذلك المقاول العصامي الناجح، الذي تخطى الخامسة والسبعين من العمر وما زال يمارس عمله بهمة ونشاط، ينزل إلى مكتبه مبكرا في الصباح، يصله قبل ابنه خالد الذي يعمل معه منذ تخرجه من كلية الهندسة. دفع به إلى العمل ليتولى أمر الشركة من بعده، وهو الآن ذراعه اليمنى.. صراع الأجيال.. التحفظ والإقدام.. التأني مقابل الاندفاع.. التعقل أمام الطموح الجامح.. لو كان الأمر بيدي لتحولت شركتنا إلى مجموعة شركات حاكمة للسوق كله.. بعدها يمكن أن نتوسَّع خارج مصر لنصبح شركة عابرة للقارات.. ما المانع؟..

fb/mashro3pdf

بالتفكير الطموح والفلوس.. كل شيء ممكن.. أكاد أجن.. متى يصبح الأمر بيدي والقرار قراري؟.. ساعتها لن تستطيع قوة في الأرض أن تقف في وجه رغبتي في تطوير نشاط الشركة وتنميتها لتصبح كائنًا اقتصاديًا يحسب الجميع حسابه.. نظر إلى ساعته.. الساعة ما زالت التاسعة والثلث.. الوقت مبكر ولا أريد العودة إلى البيت الآن.. ما العمل؟.. سأتصل بدودو.. مد يده على الفور إلى الموبايل الخصوصي، كما يسميه، تمييزًا له عن الموبايل الذي يستعمله في اتصالات العمل والعائلة، يحمل جهازين للموبايل مثل الكثيرين من رجال الأعمال، بحث عن رقمها بين الأرقام العديدة المسجلة عليه واتصل بها.. إيه المفاجأة دي.. عاش من سمع صوتك.. أنت هرّاب كبير.. إيه رأيك تيجي دلوقتي.. عندي قعدة لطيفة.. بدا عليه التفكير لبرهة ثم قال لها.. أوكي.. مسافة السكة.. أشار للمتر ليحضر الحساب.. دفع وغادر البار.

دودو.. اسم التدليل لدينا بسيوني، إحدى صديقات خالد. سيدة أرستقراطية، مطلقة لمرتين، خرجت من الزيجتين بفيلا في الجونة وشقة فاخرة على نيل الزمالك، خلاف شقتها في العمارة التي يملكها والدها في الزمالك أيضا والتي تسكن فيها حاليًا. تحيا حياة خالية من المشاغل، وتقضي أوقاتها ما بين نادي الجزيرة وحفلات الأصدقاء والصديقات، وتشارك هي نفسها بنصيب لا بأس به في ترتيب القعدات والحفلات ببيتها، تحرص على أن تحيط بها كوكبة

fb/mashro3pdf

من وجهاء المجتمع ونجوم الفن من ممثلين وممثلات، فرفوشة وصاحبة مزاج، تعرَّف عليها خالد في إحدى حفلات العجمي منذ سنوات واستمرت العلاقة.

2

وصل إلى بيت دودو في الزمالك وترك السيارة لسايس الجراج أمام الباب. استقل المصعد إلى شقة دودو بالدور الخامس، مصعد قديم من الموبيليا والزجاج لا يشعر فيه الراكب باختناق المصاعد الحديثة المغلقة. سمع صدى الضحكات المنبعثة من شقة دودو وهو يقرع الباب. فتحت له إحدى الخادمات في نفس الوقت الذي أقبلت فيه دودو مرحِّبة به بابتسامة ودود، تصافحا وتبادلا القبلات وكلمات الاشتياق والمجاملة وهي تقوده إلى الصالون، حيث يتحلقَّ الضيوف مستغرقين في أحاديثهم، نبَّهتهم دودو إلى قدوم خالد وقدَّمته للحضور.. خالد بك قدري، صديق عزيز وصاحب واحدة من أكبر شركات المقاولات بالبلد. نهض الحضور للترحيب فصافحهم جميعا وهم يعرِّفون أنفسهم له، لم يكن يعرف إلا أحد الحاضرين فقط من نادي الجزيرة، علق على ليلى يسري وهي تقدم نفسها له:

fb/mashro3pdf

– طبعًا.. طبعًا.. وأتابع أعمالك بإعجاب.

جلس ملتقطًا أنفاسه وهو يجول بنظره على الحاضرين مرة أخرى بهدوء بعد ضجيج بداية التعارف واللقاء. جاءه شاب يقوم على الخدمة فطلب منه كأسا من الويسكي ثم واصل متابعة نقاشات الحاضرين.. جاءه الشاب بالكأس والأحاديث تدور حول أسعار فيلات الساحل الشمالي والتجمع الخامس والأراضي الخالية المعروضة.. لفتت نظره الجاذبية الشديدة للممثلة ليلى يسري واهتمام الحاضرين الخاص بها.. جميلة وجذابة صحيح.. أخذ يتحيَّن الفرصة لحديث مباشر بينهما إلى أن ذكرت أنها اشترت قطعة أرض في التجمع الخامس، وتفكر في بنائها كفيلا للانتقال للسكنى بها هروبا من ازدحام المدينة وبعيدا عن ضجيجها.. علقت دودو على التوِّ قائلة.. معنا خالد بك وتستطيعين أن تستعيني به في هذا الموضوع.. التقط طرف الخيط وقال لها بكل سرور طبعًا.. أعطني خبرًا عندما تقررين.. أخرج كارت تعارف من محفظته وقدمه لها.. شكرته وهي تؤكد له:

– سأتصل بك بإذن الله.. الحقيقة كنت أنعي هم العمال والمقاولين، كثيرا ما سمعت عن مشاكلهم التي لا تنتهى.

– لا تنعي هما.. أنا تحت أمرك في أي وقت.

تواصل السمر والأحاديث حتى ساعة متأخرة من الليل بعدها دعت دودو ضيوفها إلى بوفيه الطعام المفتوح، نهض الجميع

fb/mashro3pdf

وشرعوا يختارون طعامهم، تعمَّد خالد أن ينتحي بليلى جانبًا أثناء تناول الطعام وانهمكا في حديث مشترك.

بعد العشاء بدأ الضيوف يتأهَّبون للمغادرة. غادروا تباعًا وحرص خالد على أن يغادر بصحبة ليلى مرافقًا لها حتى أوصلها إلى سيارتها قبل أن يستقل سيارته متجهًا إلى بيته بالمهندسين.. أخذ شهيقًا عميقًا وهو يفتح زجاج السيارة ليتيقَّظ أثناء القيادة.. ما كل هذا الإرهاق! لقد شربت كثيرًا دون أن أنتبه.. مفعمة بالأنوثة وناعمة.. قالت إنها ستتصل.. سنرى.. لم تعطني رقم تليفونها رغم أنني أعطيتها الكارت.. لا يهم.. يجب أن تتصل هي.. قلبي يحدثني بتطورات قادمة لا محالة.. جمالها أخَّاذ وشديدة الإغراء.. موضوع فيلتها هذا مدخل جيد.. لن أدعه يفلت مني.. ترى كم تبلغ من العمر! أظنها في أوائل الثلاثينيات.. أو في منتصفها على الأكثر.. يبدو عليها الذكاء أيضًا.. أنا أحب التعامل مع المرأة الذكية.. وصل إلى البيت فاستقبله سايس الجراج مرحِّبا.. ترك له السيارة وصعد متثاقلا إلى البيت. فتح الباب فوجد غرفة سيف مضيئة. توجه إليها وفتح الباب، كان سيف جالسًا أمام الكمبيوتر منهمكًا في مذاكرته.. انتبه لوالده فبادره بالتحية:

– أهلا بابا.

– أهلا يا سيف.. أما زلت تذاكر.

– خلاص خلّصت.. سأقوم للنوم.

fb/mashro3pdf

– هبة نامت؟

– من زمان.

– طيب.. تصبح على خير.

– أغلق الباب ودخل إلى غرفة نومه، كانت هدى تغط في نوم عميق.

3

استيقظ في العاشرة ونهض من الفراش سريعًا، دخل إلى الحمام وخرج مندفعًا إلى غرفة الطعام لتناول الإفطار قبل أن يغادر إلى المكتب. كانت هدى تستعد للخروج، سألها:

– على فين بدري كده؟

– عندي اجتماع في الهلال الأحمر.

نادت على محمود السفرجي ليعد الإفطار لخالد. جاء محمود بعد قليل بالشاي الساخن وصب له فنجان شاي قدمه إليه وهو يسأله:

– تفطر إيه حضرتك؟

fb/mashro3pdf

– لقمة بجبنة فقط. أنا مستعجل.

توجَّه إلى هدى بالسؤال وهي تهم بالخروج:

– أين الأولاد؟

– ذهبوا إلى الجامعة، الساعة تعدت العاشرة. على فكرة هبة ستسافر مع الجامعة الأسبوع الجاي، رحلة لبولندا خاصة بالنشاط الذي تشارك فيه.

أومأ برأسه وهو يرتشف الشاي. غادرت هدى وأكمل إفطاره ثم ارتدى ملابسه وغادر على عجل. كان طلعت السائق ينتظره بالسيارة أمام الباب وقد اشترى له الجرائد ووضعها على المقعد الخلفي. قال له وهو يركب.. بسرعة على المكتب فقد تأخرت. انطلق طلعت مسرعًا وخالد يتصفحّ الجرائد على عجل.

دخل إلى مكتبه وطلب السكرتيرة، جاءت على الفور فبادرها بالسؤال:

– عندي مواعيد إيه النهار دا؟

نظرت إلى النوتة التي في يدها وقرأت منها:

– موعد البنك الساعة الثانية عشرة ثم اجتماع الحزب في الواحدة.

نظر إلى ساعته ثم قال لها:

fb/mashro3pdf

– اطلبي لي فنجان قهوة بسرعة.

استدارت مغادرة الحجرة فسحب سماعة التليفون وطلب رقما بحماسة. جاءه الصوت من الطرف الآخر فصاح متهللا:

– أهلا يا ناجي.. إيه أخبارك؟

– .....

– عاوز أمرّ عليك النهار دا بالليل.

– .....

– أبدا.. زهقان شوية.. أبويا مكفِّرني في الشغل.. وكمان وحشتني يا أخي.

– خلاص.. الساعة التاسعة سأمرّ عليك في البيت.

جاءه الفرَّاش بالقهوة فشربها وهو يلملم أوراقه التي سيأخذها معه إلى البنك وغادر إلى مواعيده.

4

وصل إلى بيت ناجي بمصر الجديدة بعد التاسعة بقليل. كان ناجي بمفرده بالبيت، استقبل صديقه بفرح وقاده إلى غرفته، غرفة

fb/mashro3pdf

أعدها لممارسة أنشطته المتنوعة، تحتوي على مكتبته وأجهزة الاستماع الموسيقى مع مجموعة كبيرة من الإسطوانات والشرائط الموسيقية. مؤثّثة بأثاث بسيط عبارة عن مقعدين مريحين وطاولة صغيرة إلى جانب المكتبة الخشبية وأجهزة الموسيقى. تساءل خالد وهو يجلس:

– هل أنت بمفردك في البيت؟

– منال في مشوار ومراد يذاكر عند واحد صاحبه.

– عامل إيه في الكلية؟

– طالع عينه، السنة دي بكالوريوس وعاوز ينجح بتقدير.

– ينجح بأي شكل وسآخذه عندي في الشركة.

– أظن أنه يريد أن يكمل دراسات عليا.

– ماذا سيفعل بها، الدراسات العليا لا تؤكّل عيشًا. الظاهر إنه طالع فقري زي أبوه.

ضحك ناجي ضحكة صافية ثم قال له:

– الفلوس ليست كل شيء يا خالد.

– يا سلام!.. على العموم ليس هذا بالجديد على واحد أنت أبوه.. هذا الشبل.. عندك إيه نشربه؟

fb/mashro3pdf

– عندي بيرة.

– ماشي.. نشرب بيرة.

نهض ناجي إلى المطبخ وعاد بعد قليل بالبيرة. سأل خالد وهو يهم بالجلوس:

– مالك! كان باين عليك العصبية وأنت تكلمني من المكتب.

– أبويا ناوي يجنني.. خلاص! أعيتني الحيل معه.. جمود غير معقول.

– نفس المشكلة المعتادة؟..

– الفرص تضيع منا كل يوم ولا يريد حتى أن يسمعني! غير معقول أن نظل محلك سر مكتفين بالشغل العادي المتكرر وأنا أرى كل يوم عروضًا تعرض علينا ومكاسب سهلة ومؤكدة وهو متجمِّد بهذا الشكل. دمي يغلي كل يوم، نستطيع بإمكانياتنا أن نكون من أكبر المستثمرين في البلد.

– أنتم والحمد لله تكسبون مكاسب ممتازة من نشاطكم في المقاولات، ماذا تريد أكثر من ذلك؟!.. ثم لا تنسَ أن أباك هو صاحب الشركة ومؤسسها منذ أكثر من أربعين سنة. لقد بدأ من الصفر، رجل عصامي كافح ووصل.. لا يجب أن تكلفه أكثر من طاقته..

fb/mashro3pdf

– قاطعه خالد:

– يعني أقف مكتوف اليدين بلا حول ولا قوة!.. يرضي من هذا!.. إنه يخنق طموحي ويصيبني بالإحباط.. بداخلي طاقة تستطيع أن تفعل الكثير..

– طموحك الزائد هذا سيعذبك في حياتك.. عمرك لن تكتفي.. اسمع كلامي يجب أن يقاوم الإنسان نفسه وإلا سيحطمها من فرط الطموح..

صمت خالد وملامح الضيق تبدو على وجهه ثم زفر قائلا:

– من المستحيل أن تفهمني أنت بالذات.. وأنت الذي قررت التقاعد المبكر من الشغل.. يا رجل!.. تركت منصبك الكبير في شركة عثمان، وقبلها رفضت عروضي المتكررة لتعمل معنا بمرتب مغرٍ أضعاف مرتبك.. أنا لا أستطيع أن أفهمك.. كيف تسير الحياة بدون طموح؟.. كيف تقنع بإمكانيات محدودة وأنت تستطيع أن تؤمِّن لنفسك حياة أفضل؟.. ألا تخاف الزمن؟..

ابتسم ناجي وهز رأسه متأملا ثم قال له:

– الحياة أولويات يا خالد، والطموح المنفلت قد يدمر الحياة.

تساءل خالد متهكمًا:

– وما هي أولوياتك يا فيلسوف؟

fb/mashro3pdf

– حاجة بسيطة جدا.. راحة البال والاحتفاء بالحياة.

خبط خالد كفًا بكف وهو يقول:

– والله العظيم أنت في حاجة للكشف عن قواك العقلية.

– كل واحد راضٍ بعقله يا خالد.. المهم أن يكون الإنسان راضيًا، ماذا ينقصك أنت؟.. الشغل ناجح والفلوس متوفرة.. الصحة جيدة وعندك أسرة جميلة، زوجة وأولاد.. ماذا ستضيف إليك المشاريع الجديدة والاستثمارات المتعددة؟.. عندكم مشروعات كثيرة وسمعة شركتكم طيبة.. كل هذا بفضل أبيك الذي تثور عليه كل هذه الثورة..

قاطعه خالد:

– يا سلام!.. وأين الطموح!.. القوة!.. المنافسة!.. متعة السيطرة على السوق حتى لا يطمع فيك أي واحد من المنافسين ويعمل لك ألف حساب.

– أليس كل ذلك محاربة لطواحين الهواء؟!.. ما أهمية السيطرة؟.. ولماذا لا تقبل بوجود منافسين؟ هذه سنة الحياة.. طالما أنك موفق ومستور فلتقبل وجود المنافسين.. عش واترك الآخرين ليعيشوا هم أيضا.. لا أهمية للقوة والسيطرة وما تتكلم عنه مما يؤرقك بلا داعٍ.. صدقني هذا الضيق والغضب يفسدان عليك حياتك.

fb/mashro3pdf

هز خالد رأسه متعجبًا وتمتم:

– ليتني أستطيع أن أكون مثلك؟

ابتسم ناجي وهو يقول:

– حاول.

سمعوا صوت باب الشقة وخطوات آتية في اتجاه الغرفة، أطلت منال برأسها وهلّلت لمرأى خالد.. نهض لتحيتها وهي تسأله عن هدى والأولاد ثم سألتهما:

– هل أجهز لكما شيئا لتأكلاه؟

أجابها خالد:

– أنا لست جوعانًا.. لقد أكلت متأخرا.

قال ناجي:

– أنا آكل ساندوتش جبنة.

انسحبت منال إلى المطبخ وعادت بعد قليل بالساندوتش. قالت وهي تهم بالانسحاب:

– سأستأذن للنوم، لازم أصحو مبكرًا للتحضير للسفر.

تساءل خالد:

– أين ستسافران؟

fb/mashro3pdf

– إلى نويبع.. إجازة أسبوع.

– نويبع!.. أين في نويبع؟

– منتجع بسيط، واسمه بساطة أيضًا.

– بساطة!.. لم أسمع به من قبل.

– مكان بسيط.. عبارة عن عشش من القش على البحر.

– عشش؟.. بالذمة دي إجازة!..

أجابه ناجي:

– على حسب.. أنت عاوز إيه من الإجازة؟

هز خالد رأسه مستسلما:

– طيِّب!..

نظر إلى ساعته وقال:

– أنا لازم أقوم كمان، عندي صحيان بدري بكرة.

علق ناجي متسائلا:

– خير.. لست معتادًا على الصحيان بدري!..

– عندي بكرة تمرين على ضرب النار. رخّصت مسدسًا ولازم أتمرن على ضرب النار.

fb/mashro3pdf

– وأين ستتمرن؟

– في مزرعة واحد صاحبي في طريق سقارة.

تساءلت منال باستغراب:

– وما لزوم المسدس؟

– أسافر بالسيارة بمفردي كثيرًا وأحيانًا تكون معي مبالغ كبيرة.

5

بدأ ناجي ومنال رحلتهما إلى نويبع في الصباح. تحركا بالسيارة بعد التاسعة بقليل مستقلين طريق السويس، ثم اتخذا الطريق المؤدي إلى نفق أحمد حمدي. بعد اجتياز النفق واتخاذ الطريق المخترق لسيناء، أخرجت منال الساندوتشات التي أعدتها وتناولا إفطارهما على أنغام الموسيقى. يحبان الطريق المخترق لسيناء ويقولان دائما إنهما يشعران بالصفاء والسكينة فيه. توغلا في الطريق حتى وصلا إلى مدينة نِخِل، دخل ناجي إلى محطة البنزين ليتزوَّد بالوقود ثم واصلا طريقهما في اتجاه خليج العقبة.

وصلا إلى منتجع بساطة في نحو الثالثة عصرًا. تسلما العشة

fb/mashro3pdf

الخاصة بهما وساعدهما أحد العاملين في نقل أمتعتهما بواسطة عربة صغيرة تدفع باليد. ذهبا إلى الحمامات العمومية للاغتسال وعادا إلى العشة، أخرجت منال بقية الساندوتشات وفرشا ملاءة فوق رمال الشاطئ جلسا عليها يتناولان طعامهما.

حل الغروب بعد قليل فالدنيا شتاء، أحضرت منال أغطية كافية لمواجهة برد الليل، العشة من الخوص والقش وبلا أبواب، في هذا المكان يتناغم المرء مع الطبيعة بحسب ناموسها وإيقاعاتها، فالنوم مبكرًا مع حلول الظلام والاستيقاظ مع بزوغ أول أضواء الفجر. دخلت منال للنوم وجلس ناجي على شاطئ البحر يتأمل الهدوء المحيط بالمكان، كانت النجوم ترصع السماء بوفرة آسرة نفتقدها في جو المدن الخانق الملوث. ملأ صدره من هواء البحر النقي وراح يراقب النجوم في علیائها والشهب التي تتساقط بين الحين والآخر، تبسَّم.. رحم الله الجدَّة.. كانت تقول عندما ترى شهابًا يتساقط فسوف يتحقق لك ما تتمناه لحظتها.. الْحقه بسرعة وتمنَّ ما تريد.. انتظر متحفزا كأنما ليتمنى أمنية علَّها تتحقق له.. رغم أنه لا يؤمن بالغيبيات.

fb/mashro3pdf

6

تحرك ناجي في الفراش مع انبلاج بشائر الفجر. كانت منال تغط في نوم عميق، تسحَّب بهدوء وخرج إلى الشاطئ. سار بعيدًا عن العشة وتوارى خلف التلة القريبة ثم تبول في مياه البحر، تكاسل عن الذهاب إلى دورات المياه العمومية البعيدة نسبيًا عن العشة. سار على الشاطئ رائحًا جائيًا ثم عاد إلى العشة وأخذ أحد كراسي البحر الخفيفة ليجلس عليه على رمال الشاطئ بالقرب من المياه كما يحب. شبَّت الشمس بهامتها خلف أفق المشرق الوضّاء فتسلل الدفء إلى الأبدان يهدهدها ويربت عليها بعد برودة الليل المستبدة. أطلت منال برأسها من باب العشة وألقت بتحية الصباح لناجي المستغرق في اتساع البحر الممتد أمامه.... سألته.. هل استيقظت منذ مدة؟.. مع الضياء الأولى للفجر.. أجابها وهو سارح في تأملاته. أخذت ترمُس المياه وتوجهت إلى المبنى المركزي حيث يوجد المطبخ. عادت بعد قليل بالماء الساخن وأعدت الشاي. أحضرت كرسي بحر لها وجلسا متقابلين في مواجهة البحر يرشفان الشاي الساخن ويتبادلان الأحاديث من هنا ومن هناك. نهضت لتعد الإفطار، جبن وعسل نحل، تناولا إفطارهما على مهلٍ بإيقاع هادئ بدآ يكتسبانه من إيقاع المكان. يحدث هذا دائما بعد وصولهما وإقامتهما في هذا المكان، ينخفض الصوت ويتباطأ

fb/mashro3pdf

الإيقاع، فلا يوجد حولهما إلا البحر والرمال، تحدهما سلاسل الجبال من الخلف وتحيطهما بعض العشش المتناثرة على البعد.

نهض ناجي بعد الإفطار ليتمشَّى قليلا على الشاطئ قبل أن يتجه إلى مكانه المفضل الذي يأوي إليه جالسًا أمام البحر، مسترخيًا ومتأملا، صخرة على الشاطئ يتسلقها ويبقى فوقها بالساعات هادئًا وسارحًا بفكره. يقضي النهار ما بين جلسته هذه وبين القراءة وممارسة رياضة المشي، لا يوجد شيء آخر، يغلق هاتفه المحمول حتى ينفصل تمامًا عن الاجتماعيات ويخلد إلى نفسه. تتصل منال يوميا بمراد لتطمئن عليه وتطمئنه.

تنشَّق بعمق هواء البحر النقي وهو جالس فوق صخرته المحببة.. ياه.. كم هي الحياة بسيطة إذا توفرت للمرء احتياجاته الأساسية.. هذه أكبر نعمة.. أن يكون المرء بصحة جيدة، وأن تتوفر حاجاته الأساسية.. وما أبسطها!.. ماذا تفعل بنفسك يا خالد؟!.. كل الظروف الجيدة التي حظيت بها ولا تقنع أبدا!.. أبوك شيَّد صرحًا ضخمًا ونجح نجاحًا كبيرًا بمجهوده.. وسيئول إليك كل هذا على الجاهز.. وأنت ناقم وغير راضٍ.. كأنك تريد أن تمتلك الدنيا جميعا!.. التوسع.. القوة.. السيطرة.. ما قيمة كل هذا إذا نغّص عليك حياتك هكذا!.. ما أبسط الحياة لو ننتبه.. يظل المرء يجري ويحارب من أجل الطموح والقوة والثروة ثم لا يلبث أن يكتشف أن العمر ولَّى.. وأنه لم يعش

fb/mashro3pdf

الحياة ولم يلحظها.. لكم أخشى عليك يا خالد!.. طوال عمره وهو يحب التميز والظهور.. منذ عرفته في الكلية.. يتقدم بجسارة ليأخذ ما يريد.. صحيح أنه يتمتع بصفات مُحَبَّبَة.. فهو جدع وطيب.. لكنه طموح بلا حدود.. يشعرني أحيانا بالغضب من أسلوبه في التفكير.. لكنني أحبه!.. عِشرة عُمر.. هناك علاقات تاريخية في حياة الإنسان لا يملك المرء حيالها شيئًا.. عليه أن يقبلها على علاتها..

7

اتصلت ليلى يسري بخالد في المكتب بعد أيام من لقائهما بمنزل دينا بسيوني. أبلغته السكرتيرة فتهلَّل وجهه بِشرًا، حوَّلت له المكالمة فبادرها بترحيب يرفع الكلفة من الوهلة الأولى... يا لها من مفاجأة رائعة كنت أنتظرها منذ لقائنا عند دودو... ما أخبارك؟.. تسلسل الحديث بينهما ودار بالأساس حول الأرض التي تملكها وترغب في بنائها فيلا لسكناها.. اتفقا على اللقاء لكي تصحبه لمعاينة الأرض.. حددا اليوم التالي.. يمر عليها ببيتها بشارع أحمد عرابي بالقرب من ميدان سفنكس.. قال لها نحن تقريبًا جيران، فأنا أسكن في المهندسين.. تبادلا أرقام المحمول الخاصة ليتصل بها عند وصوله لتنزل إليه... وضع السماعة وابتسامة عريضة ترتسم

fb/mashro3pdf

على وجهه.. ها هي اتصلت.. هايل.. إذن فالسنارة غمزت..

أبلغته السكرتيرة أن حمزة بك من الحزب على الخط لأمر مهم.. حَوِّليه فورًا.. أهلا حمزة بك.. اجتماع مهم!.. الآن!.. خيرًا... طَيِّب.. أنا جاي حالا.. وضع السماعة واجمًا.. اللهم اجعله خيرًا..

8

نزل من بيته في الصباح على موعد ليلى يسري مباشرة، أرسل طلعت السائق بالسيارة المرسيدس لينتظره في المكتب وأخذ هو السيارة البي إم من الجراج. توجه إلى منزل ليلى يسري في شارع عرابي وقبل أن يصل بدقائق اتصل بها ليعلمها بوصوله. انتظرها لبضع دقائق حتى نزلت. نزل من السيارة وفتح لها الباب، كانت في أبهى زينة يتضوَّع منها عطر أخَّاذ. جلس إلى مقعده وهو يبادرها بمجاملة حميمة:

– إيه الشياكة دي؟

ابتسمت بدلال الأنوثة الواثقة وتمتمت:

– مِيرسي.. من ذوقك.

fb/mashro3pdf

أدار جهاز الإسطوانات على موسيقى هادئة ثم تحرك بالسيارة وهو يقول لها:

– سنصل إلى التجمع الخامس أولا ثم عليكِ أنتِ بإرشادي لمكان الأرض.

كان الطريق مزدحما بشارع أحمد عرابي والمرور متباطئا، قالت له:

– لقد أصبح الازدحام هنا على هذا الحال طوال النهار ومعظم الليل.

هز رأسه وعلامات التعجب على وجهه وعلق في ضيق:

– فعلا المنطقة أصبحت لا تطاق!..

سألته بعد برهة:

– وأين تسكن في المهندسين؟

– في شارع لبنان.

– شارع لبنان مزدحم أيضًا.

– العمارة ملكنا منذ زمن، وكل الأسرة تسكن فيها، أبي وأختي، حتى أخي الذي يعيش في أمريكا له شقة فيها.

تساءلت بفضول:

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ابن خالتي.. أنت تعرف ظروف عملنا صعبة، معظم الوقت خارج البيت.. وجدنا أن وضع الولد سيكون أفضل مع أبيه وبين إخوته.

ساد الصمت لبرهة، سألها بعدها:

– كم عمر ابنك؟

ارتسمت ابتسامة على وجهها وهي تجيبه:

– عمرو عمره سبع سنوات.

– ما شاء الله.. ربنا يخلّي.. لا يبدو عليكِ أنك أم لطفل عمره سبع سنوات.

ضحكت وهي تقول له:

– حضرتك مجامل جدًا.

قال بحماسة:

– لا والله.. أنا تصورت أنك غير متزوجة..

– الحقيقة أنا تزوَّجت في سنٍ مبكرة.

صمت لبرهة ثم سألها:

– وهل تعيشين الآن مع الوالد والوالدة؟

fb/mashro3pdf

– أعيش مع أمي.. يعني.. هي تقيم بيني وبين أختي.. وإن كانت معظم الوقت مع أختي.. أختي أيضا مطلقة، والوالد متوفًى.

كانا قد وصلا إلى التجمع الخامس، قادته إلى موقع الأرض. نزلا معًا ليعاينها على مهل، سألها عن اسم الشارع وسجله في مفكرته. قال لها إنه سيرسل مهندسًا ليرفع الأرض. سألها إذا كانت مرتبطة بشيء فأبلغته بارتباطها بموعد عمل في بيتها. قال لها:

– كنت أريد أن أدعوك للغداء.

قالت له بترحيب:

– ليكن مرة أخرى.

تلقف ترحيبها فقال على الفور:

– إذن لنتفق من الآن، وليكن على العشاء أفضل. هل يناسبك غدا؟

– أوكي.. غدًا مناسب.

– الساعة التاسعة يناسبك؟

– مناسب جدًا.

– سأمر عليك التاسعة بالضبط في البيت.

fb/mashro3pdf

أوْصلهـــا إلـــى بيتها وتوجه إلـــى مكتبه والابتهـــاج يبدو على وجهه.

9

يوم الجمعة يكون عادة للعائلة. يستيقظ خالد على راحته في يوم الإجازة، بعد الإفطار مع الأولاد والاسترخاء، يمر على والده ليُصَبِّح عليه هو والست الحاجة والدته، بعد أن يشرب القهوة يكون موعد صلاة الجمعة قد حان، يصحب والده الحاج قدري وزوج أخته عابد مع ابنه سيف ويذهبون جماعة إلى الجامع القريب الذي بناه الحاج قدري منذ بضع سنوات. يعودون للغداء في البيت الكبير، عادة يحرصون عليها جميعًا. بعد الغداء يصحب خالد أسرته الصغيرة إلى نادي الجزيرة ويعودون جميعًا في المساء. هذه الجمعة، اضطر خالد للاعتذار مبكرًا لارتباطه بموعد عمل مهم. كذبة بيضاء لا بد منها، فاليوم موعده مع ليلى يسري للعشاء.

قبل التاسعة كان في طريقه إلى منزلها، نزلت إليه في الموعد وتحرك بالسيارة وهو يسألها:

– ماذا تفضلين للعشاء؟

fb/mashro3pdf

– ليس لي طلب خاص.

فكر لبرهة ثم سألها:

– هل تحبين السوشي؟

– اقتراح جميل.

– إذن لنذهب إلى مطعم الباشا، السوشي ممتاز هناك.

اتجه صوب مركب الباشا على نيل الجزيرة، ترك السيارة للمنادي ليركنها ودخلا إلى المطعم الآسيوي، استقبله المتر والجرسونات بترحيب واضح يشي بتردده على المكان. جلسا إلى إحدى الطاولات وطلبا المشروبات، اختار خالد زجاجة نبيذ فرنسي للعشاء. قالت له:

– عليك أنت بطلب العشاء، فأنا آكل السوشي لكني لست خبيرة فيه.

– لا تنعي الهم، سأتولى أنا الأمر.

مرت لحظات صمت أوائل لقاءات المتعارفين حديثًا قطعه خالد متسائلا:

– ترى ما آخر أعمالك؟

تململت في مقعدها ثم أجابته بصوت خافت:

fb/mashro3pdf

– الحقيقة آخر عمل لي كان منذ سنتين، مسلسل في رمضان.

– ياه!.. منذ سنتين!.. ولماذا؟

هزت رأسها بحيرة وهي تجيبه:

– الحقيقة ظروف الإنتاج ليست على ما يرام.. السينما وضعها خاص والأدوار معظمها للرجال وللأفلام الكوميدية.. التليفزيون المنافسة فيه صعبة.. يعني..

جاء المتر لأخذ الطلبات فتولى خالد مهمة اختيار العشاء. ساد صمت قصير بينهما قطعه خالد قائلا:

– على فكرة، سأرسل غدا مهندسًا من الشركة ليرفع الأرض، بعد ذلك سنقوم بعمل التصميمات المعمارية للفيلا، بعد معرفة طلباتك طبعًا.

– متشكرة خالص، لكني لست مستعدة الآن للبناء.

– لا تنعي الهم، سنقوم بعمل التصميمات أولا لأنها تحتاج لوقت، بعدها يمكن أن نبدأ البناء في الوقت الذي تريدينه.

جاء المتر بزجاجة النبيذ، فتحها وصبَّ لخالد رشفة للتذوق، صب كأسها بعد أن أومأ له برأسه ثم أكمل كأس خالد. رفع خالد كأسه في مواجهتها وهو يقول:

fb/mashro3pdf

– في صحتك.

رفعت كأسها هي الأخرى وهي ترد التحية، قال لها وهو يضع كأسه:

– لكني لاحظت أنك تقولين بعض التعبيرات اللبنانية وسط الحديث!

ابتسمت وهي تجيب فضوله:

– أصل ماما من لبنان.. لازم تفلت بعض الكلمات.

– اللهجة اللبنانية جميلة.. تعطي حديثك طعمًا.

احمرّ وجهها خجلا من المجاملة. سرح خالد بفكره لبرهة ثم تساءل:

– هل معنى ذلك أن زوجك كان لبنانيًا؟

– نعم.. ابن خالتي.

– وهل يعيش في مصر أم في لبنان؟

– في لبنان..

تساءل مندهشًا:

– وابنك معه في لبنان؟

fb/mashro3pdf

– نعم.

جاء الجرسون بأطباق العشاء ووضعها على الطاولة ثم ملأ كأسي النبيذ قبل أن ينسحب متمنيًا لهما شهية طيبة. تواصل الحديث بينهما خلال العشاء من هنا ومن هناك في موضوعات شتى. كان يعود من آن لآخر بلباقة إلى حياتها الشخصية محاولا أن يروي ظمأ فضوله لأن يعرف أكثر عنها، وشَى ذلك بالطبع باهتمامه بها والذي لم يَغِب عن فطنة الأنثى فيها. نظرت إلى ساعتها التي كانت تقترب من منتصف الليل، سألها:

– هل تحبين أن نغادر الآن؟

– أعتقد أن الوقت قد حان.

طلب الحساب ودفع ثم غادرا المطعم. أوْصلها إلى بيتها. قالت له قبل أن تغادر السيارة وهي تودِّعه:

– أشكرك على السهرة الممتعة، لقد أمضيت وقتًا رائعًا.

قال لها وهو ينظر إليها بودٍّ:

– أنا الذي يجب أن يقدم الشكر، فقد سعدت بصحبة جميلة مع فنانة مرموقة.

ضحكت من قلبها وهي تقول:

fb/mashro3pdf

– ألم أقل لك إنك مجامل.

10

تحلق النزلاء حول طاولات العشاء في مبنى الخدمات المركزي للمنتجع، مبنى من القش أيضا، لكنه أكبر حجمًا من عشش النوم ويحتوي على المطبخ وبهو للجلوس وتناول الطعام. يتجمع النزلاء حول موائد الطعام المشتركة ويحدث التعارف بينهم أثناء الإقامة، نزلاء من جميع الجنسيات والأعمار. بعد العشاء قال ناجي لمنال:

– ليتنا لا نعود غدًا للقاهرة.

قالت له منال بحزم:

– لقد مدَّدنا إقامتنا يومين، يكفي هذا، عندي شغل ومراد بمفرده في البيت.

هز رأسه راضخًا. بدأ في التثاؤب فنهضا للنوم. سارا في هدوء الليل على الشاطئ في اتجاه عشتهما. قالت منال:

– سنتحرك مبكرًا، بمجرد أن نستيقظ.

قال ناجي:

fb/mashro3pdf

– فلنتحرك على راحتنا، ماذا وراءنا؟

– أريد أن أصل مبكرًا، عندي بعض الأمور لترتيبها قبل الذهاب للشغل.

***

استيقظا مبكرين كالعادة، ذهبت منال لإحضار الماء الساخن، شربا الشاي ثم اغتسلا وبدآ في جمع أمتعتهما. دفعا الحساب وبدآ رحلة العودة في نحو التاسعة صباحًا. سارت السيارة بحذاء البحر في طريق طابا قبل أن ينحرفا يسارًا بين سلاسل جبال جنوب سيناء المهيبة. دخلا إلى بداية الطريق الذي يخترق سيناء متجهًا إلى نفق أحمد حمدي، أخرجت منال الساندوتشات التي أعدتها للإفطار، وهما في حال من الهدوء اكتسباه من الإقامة الهادئة بعيدا عن كل مظاهر الضجيج والإزعاج التي تذخر بها القاهرة. تمتم ناجي.. لو يستطيع المرء أن يقيم هنا إقامة دائمة!.. علقت منال.. على العموم أنت في نعمة بعدم اضطرارك للنزول يوميًا من البيت.. العزلة التي تعيش فيها تحميك من عنفوان القاهرة.. الشوارع أصبحت كغابة يحكمها الأقوى!.. أدار ناجي جهاز الموسيقى على إسطوانة لشوبان. نعست منال على نغمات الموسيقى وسرح ناجي مع أفكاره. توقف في مدينة نِخِل ليتزود بالوقود قبل أن يكمل

fb/mashro3pdf

طريقه في اتجاه النفق. تيقَّظت منال قليلا أثناء التزود بالوقود ثم عاودت النعاس لتتيقَّظ على مشارف النفق، سألته:

– ألا تريد أن تشرب شيئًا؟

– ماء فقط.

أخرجت زجاجة الماء من الثلاجة وناولتها له. عبرا النفق وتوقفا عند مفارق الطرق لشراء الجرائد، لم يقرآ الجرائد منذ مغادرتهما القاهرة. أشار ناجي لبائع الجرائد واشترى جريدة الأهرام، تناولتها منه منال وواصل السير في اتجاه القاهرة. بدأت في تصفحُ الجريد بهدوء إلى أن توقفت فجأة شاهقة:

– يا خبر!.. أبو خالد توفِّى..

– ماذا تقولين؟!..

بدأت في قراءة النعي بصوت مرتفع وناجي يتابع مذهولا. قاطعها:

– أين سيكون العزاء؟

تابعت النعي بعينيها ثم قالت:

– ... وقد شيعت الجنازة أمس والعزاء غدًا بجامع الحامدية الشاذلية.

fb/mashro3pdf

وجم ناجي لسماع الخبر وواصل طريقة إلى القاهرة وهو مأخوذ.

11

وصلا إلى البيت نحو الثالثة بعد الظهر. لم يكن مراد بالمنزل. رتبت منال أمورها المبدئية ثم تناولا غداء خفيفًا. قال ناجي:

– يجب أن أمرّ على خالد بالبيت.

قالت له منال وهي تنظر إلى ساعتها:

– الوقت ما زال مبكرًا، ادخل لترتاح من إرهاق الطريق واذهب له في المساء.

دخل لقيلولة يستعيد بها عافيته من إرهاق القيادة، حاول النعاس دون جدوى، أخذ يتقلّب في الفراش بقلق حتى شارفت الساعة على السادسة، فنهض للاستحمام ثم ارتدى ملابسه ونزل للذهاب إلى خالد بالبيت.. لا بد أن أكون إلى جانبه في هذا الوقت.. تمتم لنفسه وهو يهم بركوب سيارته. الطريق شديد الازدحام.. هذه فعلا غابة.. كيف يمكن للإنسان أن يحيا في هذه الظروف؟!.. الكل يفعل ما يَعِنُّ له دون ضابط أو رابط!.. أنا وبعدي الطوفان..

fb/mashro3pdf

شتان ما بين الحياة داخل المدينة وخارجها.. الحمد لله أنني لا أضطر للنزول اليومي.. أفضل قرار اتخذته هو التقاعد المبكر والاعتزال.. لا أحتاج لهذه الحرب الشعواء التي يخوضها الناس.. لقد أديت رسالتي وعَلَّمت الولد.. وها هو سينتهي من دراسته هذا العام.. من حسن حظي أنني استطعت أن أدخر ما يكفينا من فترة عملي بالإضافة إلى سنوات عملي مع الشركة بالبلاد العربية، ريع المبلغ يكفي لمصاريفنا ويزيد.. وكفى الله المؤمنين شر القتال.. ماذا يحتاج الإنسان أكثر من لقمة طيبة وصحة جيدة.. كل ما عدا ذلك من الكماليات.. حتى الإجازات نقضيها بأبسط التكاليف ونسعد بها.. وهل السعادة في أن يسرف الإنسان في المظاهر والكماليات التي سرعان ما يسلاها ويبحث عن غيرها!.. أو أن يذهب إلى أغلى الأماكن وينفق المبالغ الباهظة لكي يشعر بالرضا؟..

وصل أخيرًا إلى بيت خالد بعد معاناة الطريق. صعد إلى شقته بالدور الثالث. فتحت له الشغَّالة وأخبرته أن الأسرة مجتمعة بشقة الوالد بالدور الثاني. استقبله أحد أفراد الأسرة وقاده إلى حيث يجلس خالد بين المعزين من أفراد الأسرة. نهض خالد حينما لمحه والتقاه بالأحضان وهو يجهش بالبكاء. ربَّت عليه مواسيًا وجلس إلى جواره. التقط خالد أنفاسه من الانفعال ثم استدار إلى ناجي قائلا بأسى.. مصيبة كبيرة.. لقد كان طبيعيًا جدًا.. يوم وفاته ذهب

fb/mashro3pdf

إلى المكتب.. لم يَشكُ من شيء.. يوم الجمعة ذهبنا جميعًا لصلاة الجمعة كالعادة وكان مرحًا.. عاد من المكتب وتناول غداءه ثم دخل لنوم القيلولة.. دخلت الحاجة لتوقظه عندما تأخر عن موعد استيقاظه المعتاد.. نادت عليه.. لم يرد عليها.. هزته ليستيقظ.. لكنه، كان قد فارق الحياه.. تدفقت دموعه مرة أخرى.. شد حيلك يا خالد.. البركة فيك.. توارد المعزُّون من الأسرة وسرت الأحاديث الجانبية.. سأله ناجي:

– لماذا أجَّلتم العزاء للغد؟

– انتظارًا لوصول سعيد من أمريكا.

– ومتى سيصل الدكتور سعيد؟

– غدًا صباحًا بإذن الله.

– وما أخبار الوالدة؟

– حالتها صعبة.. ربنا يصبِّرها.

استمرت جلسة العزاء المنزلي لأفراد الأسرة المقربين إلى ما بعد العاشرة، عندما بدأ الحضور في الانصراف تباعًا. استمر ناجي مع خالد حتى النهاية ثم ودعه وهو يسأله:

– هل يمكن أن أساعد في أي حاجة؟

fb/mashro3pdf

– شكرا.. لقد تم ترتيب كل شيء.

– إذن سأراك غدًا في العزاء.

12

وصل الدكتور سعيد من أمريكا بعد الظهر واستقبله أخوه في المطار. بدا عليه الإرهاق من طول الرحلة ومشقتها مع وقْع خبر وفاة أبيه وهو في الغربة. كان واجمًا طوال الطريق إلى البيت في المهندسين. ارتمى في حضن أمه فور وصوله وأجهشا معًا في بكاء طويل.. لم أكن أتصور الا أراه.. أن يموت وأنا في الغربة ولا أستطيع أن ألحق جنازته.. ربتت أمه عليه مواسية.. أمر الله يا بنيّ.. الحمد لله أنه لم يتعذَّب.. مات موتة يتمناها كل إنسان.. أبوك كان رجلا صالحًا ويعرف ربه.. اقرأ له الفاتحة.

توجَّه الجميع إلى جامع الحامدية الشاذلية لتلقي العزاء. بدأ توافد المعزِّين الذين ازدحمت بهم القاعة سريعًا، حشد كبير من الوزراء ورجال الحزب إلى جانب رجال الأعمال وعمال وموظفي الشركة.. أعداد هائلة توافدت في أفواج متلاحقة، فالحاج قدري صاحب واحدة من أكبر شركات المقاولات والتشييد في البلد، هذا

fb/mashro3pdf

بالإضافة إلى مركز خالد المرموق في الحزب وصِلاته المتعددة التي يحرص على تنوعها لتخدم أعماله ومصالحه. جاء ناجي مبكرًا واستمر بالعزاء إلى نهايته، ودَّع خالد وقدم واجب العزاء إلى الدكتور سعيد قبل أن يستأذن مغادرًا.

***

تمت الترتيبات الضرورية في الأيام التالية من إجراءات إعلام الوراثة وترتيب الأمور العائلية قبل سفر الدكتور سعيد عائدًا إلى عمله في أمريكا. ترك كل ما يخصه وما سيؤول إليه من ميراث في الشركة تحت رعاية أخيه خالد... قال له أنا لا أفهم في أمور الشركة، وأنت الذي كنت تقوم بمشاركة الحاج في الإدارة.. أنت مهندس وخبرة في العمل، ولتفعل ما تراه مناسبًا. سيسير كل شيء كما كان تمامًا في وجود الحاج وتحت رعايتك.. ربَّى الحاج أولاده على الترابط والتراحم تحت رعاية والدتهم التي حرصت دائمًا على لمِّ شملهم بحنانها وحكمتها وقوة شخصيتها في آنٍ واحد.

سافر الدكتور سعيد أخيرًا إلى عمله وحياته في أمريكا، فاهتماماته أساسًا علمية، وقد حقق في مجاله تقدمًا مرموقًا كطبيب متخصص في واحد من أهم مراكز علاج وجراحة القلب في أمريكا والعالم.

fb/mashro3pdf

13

في موعد عودة هبة من بولندا مع رحلة الجامعة، ذهب خالد بصحبة هدى وسيف لاستقبالها في المطار. الموقف صعب، فالحاج قدري توفي أثناء سفر حفيدته بالخارج، ولم تعلم بالخبر بالطبع. الحاج قدري كان مرتبطًا بهبة ارتباطًا خاصًا، وفي المقابل كانت هي شديدة التعلق به. كان على الوالدين أن يبلغاها بالخبر الحزين ويمتصا صدمتها. فكَّرا في اصطحاب أخيها ليعينهما في تلك المهمة العسيرة. قال خالد وهم في الطريق إلى المطار:

– لا أدري كيف سنبلغها بالخبر!..

علقت هدى بقلق:

– لقد كانت شديدة التعلق به، ربنا يستر!..

تساءل سيف:

– هل سنبلِّغها مباشرة؟

أجابه خالد:

– لا طبعا.. لا بد أن نمهِّد لها أولا.. لنترك الأمر للظروف..

استقبلت الأسرة هبة في المطار، كانت سعيدة ومنفعلة بالرحلة.

fb/mashro3pdf

ركبوا السيارة جميعا وتحركوا في طريق العودة، قال خالد بمجرد تحركهم:

– ما رأيكم في العشاء معًا في أي مكان، أشعر بالجوع؟

ردت هبة:

– فكرة هايلة، أنا أيضا سأموت من الجوع، أكل الطائرة كان زيّ الزفت.

بدأت هبة في الثرثرة عن ذكريات الرحلة إلى أن وصلوا إلى فندق المريديان بشارع العروبة. قال خالد:

– أتذكر أن عندهم مطعمًا ممتازًا هنا.

توجهوا إلى المطعم الرئيسي وجلسوا يلتقطون الأنفاس متحفِّزين لفتح الحديث الحرج بمزيد من القلق والتوتر اللذين لم تلحظهما هبة لفرط انفعالها بالرحلة ونوادرها. جاء الطعام وانشغلوا به وإن كان القلق يعتمل بداخلهم، بعد أن انتهوا من عشائهم تبادلوا النظرات ثم ما لبثت هدى أن أخبرتها بالخبر المشئوم، ندَّت عنها شهقة عميقة أعقبتها بوجوم لحظيّ ثم انفجرت في بكاء ملتاع.. لا.. لا يمكن.. كيف ذلك؟!.. لا أستطيع أن أصدق.. ليتني ما سافرت.. على الأقل كنت أودِّعه.. استمرت في بكائها وهذيانها والجميع يحاول تهدئتها.. مرت فترة قبل أن تتمكن من أن تتمالك نفسها ليستطيعوا لملمة أنفسهم ومغادرة المطعم.

fb/mashro3pdf

14

بعد الوفاة بأسبوع تقريبًا، اتصلت ليلى يسري بخالد في المكتب، حوَّلتها له السكرتيرة، كان مجتمعًا بالمدير المالي للشركة، أومأ له برأسه بإرجاء الاجتماع فانسحب الرجل من الغرفة.. أهلا مدام ليلى..

– .....

– حياتك الباقية.. متشكر جدًا.

– .....

– وصلتني البرقية.. ألف شكر.

– .....

– لا والله.. كان عاديًا جدًا، يوم الوفاة جاء إلى المكتب. عاد إلى البيت وتناول غداءه ثم دخل لنوم القيلولة.. لم يستيقظ بعدها.. رحمة الله عليه..

– .....

– أنا شاكر لذوْقك، إن شاء الله لنا لقاء قريب، وأرجو أن تطمئنِّى على موضوع الفيلا، المهندس شغّال في التصميمات.

fb/mashro3pdf

سـوف أتصـل بك قريبًا بمجرد أن أنتهي من بعض المشـاغل العاجلة.

أنهى المكالمة وسرح بفكره لبعض الوقت، اتصل بالمدير المالي، وطلب منه الحضور لمواصلة الاجتماع الذي انقطع بالمكالمة التليفونية.

15

مر خالد على الحاجة خديجة قبل أن يتوجه إلى المكتب ليشرب القهوة معها، عادة استقرت بعد وفاة الحاج قدري. تتناوب أسرتا خالد وأخته عزة المرور عليها للاطمئنان والونسة، فهم لا يريدون تركها بمفردها لأوقات طويلة. الحاجة خديجة لها مكانة خاصة في قلوب الجميع، فهي وتد الأسرة وصدرها الحنون، شأنها شأن الكثيرات من الأمهات المصريات في الريف والحضر، اللاتي يشكلن الداعم والمحرك الرئيسي لشئون الأسرة، وإن كان ذلك من وراء الستار. شاركت زوجها رحلة نجاحه وصعوده في مدارج النجاح منذ البدايات المبكرة لكفاحه، لذلك فهي تدرك الكثير من التفاصيل العريضة. تطمئن من خالد بانتظام على أحوال العمل وتوصيه بالاهتمام بسمعة أبيه ونتاج كفاحه على مر السنين. يحسب لها الأبناء والأحفاد ألف حساب، فهي ما زالت رمانة

fb/mashro3pdf

ميزان الأسرة والصدر الحنون الذي يلجأ إليه الجميع للاستدفاء به والأمان في كنفه.

جلس يتسامر مع أمه لبعض الوقت وهو يشرب القهوة، سألها عن احتياجاتها وطلباتها قبل أن يستأذن مغادرًا إلى المكتب. نهضت لتودِّعه إلى الباب وقبَّلته وهي تدعو له دعوات الأمهات. احتضنها طويلا قبل أن يستدير نازلا الدرج بهمة وهو ينظر إلى ساعته.

16

دعا خالد إلى اجتماع لمديري إدارات الشركة لتوضيح خطة عمل الشركة المستقبلية. نشاط الشركة في الأساس منذ أنشأها الحاج قدري كان في مجال المقاولات فقط، تتعهد الشركة بتنفيذ إنشاء مشروعات المباني على اختلاف أنواعها للغير من خلال الاشتراك في عطاءات الأعمال أو بالأمر المباشر من بعض الجهات التي عملت معها واكتسبت ثقتها.

قرر خالد تنفيذ حلمه بارتياد نشاط الاستثمار العقاري، بأن تقوم الشركة بتوفير الأراضي لبناء مشروعات إسكان كبيرة، بالاستعانة بالإمكانات الكبيرة لشركة المقاولات، ثم تسويق وبيع

fb/mashro3pdf

الوحدات السكنية بهذه المشروعات للعملاء في مصر والبلاد العربية. شرح في الاجتماع الخطوط العريضة لسياسته وقراره بالبدء فورًا في النشاط الجديد. لاقى قراره استحسان الجميع، فهو يمثل طفرة جديدة في تطور الشركة ونموها.

اتصل خالد بمحامي الشركة، وحدد موعدًا معه لمناقشة الخطوات القانونية الواجب اتباعها قبل البدء في نشاط الشركة الجديد، واستكمال التراخيص والمستندات اللازمة في أسرع وقت. هو الآن صاحب القرار الوحيد ولا يوجد ما يعوقه في وضع أفكاره وأحلامه موضع التنفيذ. انهمك في فترة من العمل المكثف المضني، وهو يضع الخطوط العريضة لسياسة الشركة في الفترة المقبلة.

17

اتصل خالد بليلى يسري بعد أن تابع سير العمل وأعطى تعليماته الصباحية لمساعديه. رن جرس التليفون طويلا حتى انقطاع الاتصال. نظر إلى ساعته وهز رأسه تعجبًا.. الساعة تعدت الثانية عشرة ظهرًا.. هل ما زالت نائمة؟!.. يجوز.. الفنانون يستيقظون بعد انتصاف النهار.. لأحاول فيما بعد.. نظر إلى الرسومات التي أحضرها له المهندس الذي كلفه بوضع التصميمات المبدئية لفيلا

fb/mashro3pdf

ليلى يسري.. قَلَّبَ فيها وراجعها ثم أزاحها جانبًا واستغرق في تصفح بعض التقارير والأوراق التي تحتاج لمراجعة.

انهمك في عمله حتى جاوزت الساعة الرابعة بعد الظهر. عاود الاتصال بليلى يسري، ردت عليه فقال لها مداعبًا:

– طبعًا الفنانون الكبار ينامون حتى بعد الظهر.. والناس المكافحة تعمل منذ الصباح الباكر!..

بدت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يستمع إلى تعليقها على مداعبته.

– عندي خبر حلو.. رسومات الفيلا جاهزة أمامي.. ولو أننا تأخرنا عليكِ كثيرًا، متى نلتقى لتشاهديها؟

– .....

– وليكن الأربعاء.. أمرَ عليكِ الساعة التاسعة ونذهب لأي مكان تحبين.

– .....

.....

هز رأسه موافقًا أثناء حديثها ثم علَّق قائلا:

– طبعًا مفهموم. أستطيع أن أفهم أنه من المناسب ألا تظهري

fb/mashro3pdf

كفنانة في الأماكن العامة كثيرًا مع شخص بعينه.. واضح طبعًا وأنا مقدِّر. على العموم تسعدني زيارتك بالبيت والعشاء عندك.. هذه دعوة لا تُرفَض، إذن سأكون عندك في تمام التاسعة، سلام.

أنهى المكالمة وسرح بفكره، لم أكن أتصور أن تدعوني إلى بيتها بهذه السرعة، لكن يجوز للسبب الذي ذكرته، هز كتفيه وقلَّب شفتيه، لا يهم السبب، المهم أنها دعتني إلى بيتها، عمومًا هذا مريح لي أيضًا، يجب أن يحسب المرء تحركاته كما فعلت هي، أنا أيضًا لي وضع سياسي بالحزب، ولا يجب أن أشاهَد بصحبتها في الأماكن العامة بشكل متكرر، الحذر واجب، كما أن الحركة لا بد أن تكون مرصودة، لقد لفتت نظري إلى نقطة مهمة حقا!..

18

انتظر طلعت السائق أمام البيت منذ الصباح الباكر في انتظار خالد. كان قد نبّه عليه منذ اليوم السابق بالحضور في السابعة صباحًا وانتظاره استعدادًا للسفر إلى بني سويف. نزل خالد بعد السابعة بقليل وطلب من طلعت المرور على الشركة أولا لاصطحاب الأستاذ وفيق الهواري محامي الشركة، والذي اتفق

fb/mashro3pdf

معه على الانتظار أمام مقر الشركة. كان الأستاذ وفيق منتظرًا بالفعل، ركب إلى جوار خالد وانطلقت السيارة إلى طريق الصعيد في طريقها إلى بني سويف.

اليوم هو موعد توقيع عقد استغلال المحجر الجديد للشركة، رتب خالد، من خلال علاقاته، للحصول على حق استغلال محجر للشركة ليخدم خططه في التوسع وتطوير أعمال الشركة. سيسافر أيضًا في الأسبوع القادم إلى إيطاليا وألمانيا للتعاقد على المعدات اللازمة للمحجر، إلى جانب معدات محطة خلط الخرسانة، بذلك يتمكن من توفير الإمكانات اللازمة لإمداد مشروعات الشركة بكميات الخراسانة اللازمة لمشروعاتها، كما سيقوم خلال رحلته أيضا بالتعاقد على شراء مضخات الخرسانة وسيارات نقل الخرسانة سابقة التجهيز، والتي ستقوم بنقلها من محطة الخلط إلى مشروعات الشركة.

راجع مع المحامي أثناء الطريق الإجراءات التي اتخذها في موضوع تأسيس شركة الاستثمار العقاري، وشدد عليه في ضرورة الإسراع بإنهاء الإجراءات لكي يتم تسجيل الأراضي الجديدة، التي يسعى حثيثًا للفوز بها من خلال علاقاته المتشعبة بالنافذين في الحزب وأجهزة الدولة، باسم الشركة.

وصلوا إلى بني سويف وتوجهوا إلى الإدارة المختصة، استقبل

fb/mashro3pdf

خالد بحفاوة وترحيب من المسئولين، قام المحامي بالمراجعة النهائية للمستندات والعقود وتم التوقيع عليها. تبادلوا التهاني قبل أن يهموا بمغادرة بني سويف والعودة إلى القاهرة التي وصلوها على مشارف الغروب.

19

كان أمام شقتها بعد التاسعة بقليل، مر على محل للورود واشترى بوكيه ورد أوصى العامل بالاهتمام باختياره اهتمامًا خاصًا. فتحت له بنفسها ورحبت بمقدمه، قدم لها الورود فشكرته وأثنت على حُسن اختياره. كانت ترتدي بنطلونا أخضر اللون وبلوزة بيضاء وتضع مكياجًا خفيفًا يناسب جو البيت، مظهرها عمومًا كان بسيطًا بلا تكلف ويدعو للألفة. دعته للجلوس بغرفة الاستقبال وجلست قبالته وهي تكرر عبارات الترحيب، تبادلا الأحاديث العابرة ثم سألته:

– ماذا تحب أن تشرب؟.. عندنا كل حاجة..

تردد قليلا ثم قال:

– ماذا ستشربين أنت؟

– سأشرب شايًا.

fb/mashro3pdf

– وأنا أشاركِ، لنشرب الشاي معا.

استأذنته لدقائق ثم عادت. بادر بالحديث:

– في الحقيقة أكرر اعتذاري على التأخير في الرسومات، الفترة الماضية كانت عصيبة في الشغل، منذ وفاة الوالد وأنا مشغول جدًا في ترتيب الأمور في الشركة، فلم أستطع الاتصال بك قبل الآن.

– لا أبدًا.. لا يوجد تأخير.. أنا أشكرك على اهتمامك في هذه الظروف، وكما قلت لك، فأنا لست متعجِّلة على البدء في الفيلا.

دخلت بعد قليل شغَّالتها الآسيوية وهي تحمل صينية الشاي. وضعتها على الطاولة وانسحبت بهدوء. قامت ليلى لتصب الشاي وهي تسأله عن مقدار السكر الذي يحبه، قدمت له فنجان الشاي وصبت فنجانها. جلسا يشربان الشاي ويتبادلان الأحاديث العامة إلى أن مد خالد يده إلى اللوحات الهندسية وبسطها أمامها، شرع في شرح التصميمات المعمارية للفيلا، وهي تنصت إليه باهتمام، استفسرت بعض الاستفسارات وألقت بعض الملاحظات فقال لها:

– هذه رسومات مبدئية، سأسجل ملاحظاتك عليها وطلباتك التفصيلية، ثم سنقوم بتنفيذها على رسومات جديدة.

fb/mashro3pdf

عبَّرت عن رغباتها واستفسرت عن إمكانية تنفيذ بعض الملاحظات، وجهها خالد إلى بعض النقاط الفنية التي غابت عنها بحكم عدم الخبرة، وواصلا النقاش إلى أن وصلا معا إلى الحل الممكن الذي اقتنعت به. قالت له بعد أن انتهيا:

– هل نشرب شيئًا قبل العشاء، ما رأيك في كأس؟

– لا بأس، كأس ويسكي من فضلك.. ثلج فقط.

نهضت إلى بار صغير في جانب غرفة الاستقبال، وأعدت كأسين عادت بهما بعد قليل، وضعت كأسه أمامه على الطاولة وقالت له وهي تجلس:

– اتصلت بدودو لأدعوها اليوم فوجدتها في الجونة.

– حقا!.. إنني ذاهب إلى الغردقة غدًا.

– إجازة؟

– من دا على دا.. عندي مشوار عمل صغير في المحافظة ثم سأطلع في رحلة صيد ليومين.

– الله!.. رحلة صيد!.. تعرف أنني نفسي أجرِّب رحلات الصيد.. الكثير من أصحابي يعشقون رحلات الصيد ويحكون لي عنها.

fb/mashro3pdf

– خلاص.. إحنا فيها، أهلا بك معنا غدًا.

ضحكت من قلبها وعلَّقت:

– على طول كده.. أنا لست بهذا النشاط والسرعة..

– خلاص.. عندك دعوة مفتوحة لرحلة صيد متى تشائين.

– ميرسي خالص.. كلك كرم وذوق.

– أنا أعي ما أقول.. سأسافر في رحلة عمل الأسبوع القادم لمدة أسبوع.. لنتفق بعد عودتي على الموعد الذي يناسبك.

صمتت لبرهة ثم تساءلت:

– وإلى أين ستسافر؟

– إيطاليا وألمانيا.

هزت رأسها مبتسمة في دلال وهي تقول:

– جميل الشغل هذا.. كله سفر.. الغردقة.. إيطاليا.. ألمانيا!..

أجابها بتحفُّظ متصنعًا الجدية كمن ينفي شبهة:

– لا يغرَّكِ الأمر.. رحلات العمل مرهقة جدًا.. مواعيد طائرات وانتقالات بين المدن بالسيارات والقطارات.. إقامة الفنادق المرهقة.. شيء مختلف عن سفر الإجازات والاسترخاء والشوبنج..

fb/mashro3pdf

غمزت بعينها بابتسامة ماكرة:

– لا يخلو الأمر من بعض السهرات والشقاوة.. لا تحاول أن تقنعنى..

قهقه عاليًا وهو يقول:

– لا مفر من الاعتراف..

– الصراحة أحسن.

دخلت الشغالة بهدوء وقالت بإنجليزية آسيوية:

– مدام.. العشاء جاهز.

أومأت ليلى له فنهض وتبعها إلى غرفة الطعام. كانت المائدة عامرة بالأطباق، جلسا إلى المائدة وهو يعلق:

– الروائح شهية، هل أنت التي قمتِ بالطهو؟

– بعض الأصناف، محشي ورق العنب والأرز بالمكسرات، تفضل..

مد يده إلى ورق العنب أولا ثم تذوَّقه وعلَّق قائلا:

– واضح أنك طباخة ماهرة.

– ورق العنب تعلمته من ماما، أمي طباخة ماهرة.

fb/mashro3pdf

تواصل العشاء والحوار بينهما في أثنائه. نهضا بعدها إلى غرفة الاستقبال مرة أخرى وهو يثني على الطعام ويشكرها على كرم الضيافة. سألته إن كان يفضل شايًا أو قهوة بعد العشاء فشكرها وقال لها إنه سيستأذنها في الانصراف نظرًا لضرورة استيقاظه مبكرًا في الصباح للسفر إلى الغردقة، فموعد طائرته مبكر. ودَّعها وهو يقول لها بمودة:

– أشكرك على هذه الليلة الجميلة، سأتصل بك بعد عودتي من الغردقة وقبل سفري إلى الخارج، أرجوكِ لا تترددي في طلب أي شيء تحتاجينه من إيطاليا أو ألمانيا، سيسعدني تلبية أي طلب.

أجابته وقد توَّرد وجهها خجلا:

– ألف شكر على ذوقك، تسافر وترجع بالسلامة.

20

استقل سيارته وهو سارح بأفكاره والابتسامة ترتسم على وجهه، ليلة دافئة حقا.. لو لم أكن مرتبطًا بسفر الغد لما تركتها الآن، لكم هي جذابة.. أنثى بكل ما في الكلمة من معنى.. جمالها

fb/mashro3pdf

يكاد يكتنفه بعض الغموض.. لا.. قد لا يكون غموضًا.. هل هو تحفظ؟.. ترفع؟.. لا أدري!.. لكن سحرًا ما يصبغه بصبغة شديدة الجاذبية.. هل هو حزن ما؟.. أو ربما حيرة.. وصل إلى بيته وترك السيارة لسائس الجراج ثم استقل المصعد وهو سارح بفكره إلى البعيد.

***

استيقظ في الصباح واستعد متعجلا للمغادرة، ساعدته هدى في تجهيز حقيبة سفره، وأعدت له إفطارًا سريعًا، قبَّلها مودعًا وغادر على عجالة، كان سيف وهبة ما زالا نائمين. وجد طلعت السائق في انتظاره مستعدًا بالسيارة، أعطاه الحقيبة وركب وهو يطلب منه سرعة المرور على منزل ناجي بمصر الجديدة، كان قد اتفق مع ناجي ليصحبه في رحلة الصيد بالغردقة. ناجي يرحب دائما بمشاركته في رحلات الصيد رغم أنه لا يهوَى صيد السمك بشكل خاص، لكن رحلات البحر كانت دائما تجذبه، فكم كان محببًا إلى نفسه قضاء يومين أو ثلاثة مستقلا مركبًا ومتوغلا وسط البحر تحوطه المياه من كل جانب، وتظلله السماء الرحيبة وسط وشيش البحر وتلاطم الأمواج. كان خالد يدعوه دائما في رحلاته البحرية بمركبه الذي اشتراه خصيصًا لهذه الرحلات وتركه في الغردقة، يستريح إلى صحبته ويستأنس به، وكان

fb/mashro3pdf

ناجي يلبي الدعوة ويذهب مع صديقه الذي ترجع صداقته معه إلى أيام الدراسة الجامعية.

21

كان ناجي في انتظار خالد بعد أن تلقّى منه مكالمة بقرب وصوله. انطلقت السيارة إلى المطار، غادرا السيارة بعد أن أوصى خالد السائق بالقدوم لانتظارهما في موعد العودة. أخذا تذكرتي الصعود وتوجها إلى الطائرة التي كانت على وشك المغادرة. قال خالد لناجي بعد أن شربا القهوة وأوشكا على الوصول:

– سأتركك في نادي الرياضات البحرية لتنتظرني بالمركب، سأذهب في مشوار سريع للمحافظة ثم سألحق بك.

وصلا إلى مطار الغردقة واستقلا سيارة تاكسي. نزل ناجي أمام نادي الرياضات البحرية وواصل خالد طريقه إلى مبنى المحافظة. أنهى لقاءه بسرعة وانطلق بعد ذلك إلى نادي الرياضات البحرية ليبدآ رحلتهما البحرية. أبحرت المركب قبل انتصاف النهار، وبعد أن وصلت إلى منطقة الصيد توقفت ليبدآ في تسقيط الخيوط وانتظار ما يجود به البحر لهما. مر وقت طويل دون نتيجة، سحب ناجي

fb/mashro3pdf

خيطه ونهض ليحضر زجاجتي بيرة له ولخالد. ناجي ليس متعلقًا بالصيد، لكنه يشارك لبعض الوقت ثم سرعان ما يزهد في الأمر. جلس في مواجهة خالد وهو مستمر في محاولاته، ما بين الانتظار وسحب الخيط من آن لآخر لتغيير الطُعم. جاء رَيِّس المركب ليتدخل مشاركا في الصيد إنقاذًا للموقف لصيد ما سوف يقومون بطهيه للغداء. بدأت الأزمة في الانفراج وجاد البحر أخيرًا ببعض الخير، بضع سمكات تكفي لغداء الجميع، هما وطاقم المركب المكون من الرَيِّس ومساعدَين له. انسحب الرَيِّس والعامِلَين لطهو السمك والأرز وجلس خالد وناجي في حالة استرخاء في انتظار انتهائهم من تحضير الغداء. جاءوا بعد قليل بالطعام لهما وانسحبوا ليتناولوا طعامهم على راحتهم بالداخل.

22

مالت الشمس للمغيب، وسحبت وراءها ضياء النهار المتألقة في نزق وخُيَلاء. تقدم المساء متهاديًا يلقي بعباءته خلف النور المتراجع بعد طول تسلط وعنفوان. رويدًا تسللت النجيمات خجلى على صفحة السماء تفسح لنفسها مكانًا تستقر فيه حتى مطلع الصباح، وسرعان ما انتثرت في قبة الكون مجاميع متلألئة

fb/mashro3pdf

بمختلف الأحجام وفيوض البريق.... يا لبلاغة الوجود في كل مكان وزمان... آه لو أجدنا الانتباه!.. تربع القمر بدرًا أو يكاد وسط حاشية النجوم واكتملت طقوس وكرامات الليل المهيب. سكنت القوارب على صفحة الماء من هنا ومن هناك، وتناثرت الأضواء الخافتة المنبعثة منها لتهمس بوجودها وسط صمت الكون المهيب.

جلسا يتناجيان على سطح المركب وهما يرتشفان كأسيهما في دعة وسكينة. تمطّى خالد وهو يتثاءب ثم قال:

– رحلة البحر هي الفرصة الوحيدة لالتقاط الأنفاس وسط زحام الشغل، الحقيقة، الفترة الماضية كانت مزدحمة ومرهقة جدًا لي.

– بالراحة شوية يا خالد.. لا يستطيع الإنسان أن يفعل كل شيء في آن واحد.

رشف رشفة من كأسه ثم قال:

– أنا في فترة تأسيس للمستقبل الآن.. هناك أشياء كثيرة لا بد أن أشرع فيها على الفور، لأنها قد تأخرت كثيرا.. أنت تعرف كيف كانت يدي مغلولة في تطوير الشركة وانتهاز الفرص التي كانت متاحة بسبب تحفُّظ بابا، الله يرحمه.. لقد قاسيت الأمرّين معه لأقنعه.. لكنه كان صعبًا.

fb/mashro3pdf

ساد الصمت بينهما للحظات قطعه ناجي قائلا:

– لا بأس من الطموح.. فهو شيء مشروع.. لكن الحذر من الاندفاع واجب.. الطموح المنفلت قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.. هناك شعرة واهية بين الطموح والتوحش.. لا أريد أن أذكّرك بكلمة السيد المسيح.. ماذا يكسب الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه؟

ضحك خالد من قلبه وقال:

– أنت الكافر تستشهد بأقوال المسيح!.. ما لك أنت وكلام الأنبياء.

نظر إليه ناجي متأملا وهو يهز رأسه قائلا:

– أولا... كوني لست مؤمنا فلا يعني هذا أنني كافر... وثانيا... لا يمنع من تقديري للكثير من كلام وأفعال الأنبياء عدم إيماني بسبب عدم قدرتي على الإيمان.. بل على العكس.. لكم تمنيت أن أكون قادرًا على الاقتناع والإيمان.. الإيمان مريح.. كل ما في الأمر أنني لم أستطع أن آخذ الأمور على علاتها وببساطة دون تفكير.. أو أن أرث الإيمان عن الأسلاف، وكفى الله المؤمنين شر القتال.. كما لا يعني أيضا أنني توقفت عن التفكير. المهم دعك من حكاية إيماني أو عدمه وفكّر فيما قلته لك.. قبل فوات الأوان..

fb/mashro3pdf

– يا عم المسألة أبسط من كل هذا الكلام، الحكاية ببساطة أنني أرى أمامي آفاقًا جيدة لتطوير أعمالنا، وهذه فرصتي الآن لتطبيق وجهة نظري بحرية بعد أن كان بابا يُحَجِّمني ويغل يدي عن التصرف، وليتك تفكر فيما طلبته منك وتوافق على أن تساعدني في هذه المهمة.. يا ناجي نحن أصدقاء عُمر وأنا أحتاجك لتقف بجانبي في هذا الوقت.. لو توافق على أن تتولى أنت الإشراف على شركة المقاولات لأتفرغ أنا للتوسعات الجديدة في النشاط.. إنني أريد أن أؤسس شركة قابضة تمتلك أسهم مجموعة من الشركات في مختلف مجالات الاستثمار.. وأريد قبل ذلك أن أطمئن على شركة المقاولات، وهي الأساس في شغلنا، ولن أجد خيرًا منك لأثق فيه وأطمئن على الشركة تحت إشرافه وإدارته، سأعطيك ما تطلبه من أتعاب، كل ما أرجوه أن توافق.

ران الصمت بينهما لثوانٍ قال ناجي بعدها:

– صدقني يا خالد.. المشكلة ليست مسألة أتعاب.. أو أنني أبخل بمساعدتك.... الحكاية أنني قد زهدت في الصراع والمشاكل الصغيرة.. أنت تعرف أن السوق والعمل الحر مليء بالصراعات والتكالب والمنافسات غير الشريفة أحيانا.. وأنا أريد أن أنأى بنفسي عن كل ذلك.. ليست عندي مطامع مادية.. الحياة مستورة ورسالتي قد أتممتها.. مراد سوف ينتهي من دراسته بعد أشهر قليلة.. وأنا ومنال يكفينا دخلنا والحمد لله.. ماذا أريد أكثر من ذلك؟!..

fb/mashro3pdf

قاطعه خالد بانفعال:

– لكنك ما زلت في سن العمل والنشاط!.. كيف يمكن أن تعتزل الحياة هكذا؟..

– أنا لا أعتزل الحياة.. أنا أحاول أن أستمتع بها كآدمي.. أفعل ما أحبه وقتما أشاء.. أمارس حريتي دون ضغوط وتوترات، ما دمت لست مضطرا لذلك.

خبط خالد كفًا بكف وهو يهز رأسه تعجبًا، تمتم في حيرة:

– أمرك عجيب والله.. لا أستطيع أن أفهمك!..

نهض ناجي إلى الحمام ثم عاد وصب لنفسه كأسًا. جلسا صامتين في هدأة الليل على ضوء القمر الذي استقر على عرشه في مملكة الكون، وحوله النجوم ترصِّع السماء في انتشار بديع. تلتمع الشهب المحترقة بين آن وآخر لتنبِّه السكون من سباته المطمئن، وتبعث الروح فيه بحركتها المباغتة الخاطفة، ثم لا تلبث أن تتركه في سلامه الناعس الصموت. تنهد خالد وقال لصاحبه في حيرة:

– يا أخي الواحد في حيرة شديدة.. موضوع جديد يشغلني في غير وقته بالمرة!

نظر إليه ناجي متفحصًا وهو يتساءل:

fb/mashro3pdf

– خير!.. ماذا حدث؟

صمت ترددا لبرهة ثم قال:

– واحدة تعرفت عليها قبل وفاة المرحوم.. يعني!.. تقدر تقول.. معرفة عابرة.. لكنها أصبحت تشغلني بشكل دائم!.. الوقت لا يسمح بالمرة في هذه الفترة الحاسمة.. لا أدري ماذا أفعل؟..

أطرق ناجي وقد بدا عليه الانشغال. قال بعد لحظات:

– خذ بالك يا خالد.. يكفيك ما حدث في المَرَّة السابقة، لقد كنت على وشك الفضيحة، وكان بيتك مهددًا بالانهيار.

قاطعه خالد:

– لا.. هناك فرق.. هذه المرة الست محترمة جدا وتخاف على سمعتها.. فهي ممثلة معروفة.

تساءل ناجي مندهشًا:

– ما حكايتك مع الفنانات؟.. ألم تتورط في علاقة مع ممثلة قبل ذلك؟

– صُدَف.. الحكاية غير مقصودة.

أطرق ناجي لثوانٍ ثم عَلَّق:

fb/mashro3pdf

– يبدو أنك تبحث عن الشهيرات!

ابتسم خالد وتمتم:

– لا أعتقد.. قلت لك صدفة.. ومن الطبيعى أن تكون الفنانات أكثر جاذبية.

– أنت حر.. المهم أن تكون منتبهًا للتبعات.. أبناؤك الآن في سن حرجة.

23

تنبه ناجي في الفجر مع بداية حركة المركب عائدة من مرساها الليلي إلى نادي الرياضات البحرية. نهض من فراشه وأعد كوبًا من الشاي، خرج إلى سطح المركب وألقى تحية الصباح على رَيِّس المركب القابع في مكان القيادة أعلى المركب، وقف يشرب الشاي وهو يجاهد لحفظ توازنه أثناء حركة المركب وسط الأمواج المتلاطمة.. ها هي الرحلة قد أوشكت على الانتهاء.. سوف يتوجهان إلى المطار بعد قليل ليستقلا الطائرة عائدين إلى القاهرة. ألقت المركب مرساها فدخل ناجي ليوقظ خالد ثم ارتدى لباس البحر، وقفز إلى الماء للاستحمام في ماء البحر قبل الوداع.

fb/mashro3pdf

خرج من الماء بعد قليل وأخذ دشا بالمياه النقية من الدش اليدوي المركب على سطح المركب. دخل لاستبدال ملابسه في الوقت الذي كان خالد يستعد فيه هو الآخر. حزما حقائبهما واستقلا سيارة تاكسي إلى المطار.

في الطائرة وهما يشربان القهوة قبل الوصول بقليل قال خالد:

– أرجو أن تفكر مرة أخرى فيما تكلمنا فيه في المركب، إنني في أشد الحاجة إلى مساعدتك في هذه الفترة المهمة من عمر الشركة.

– صدِّقني يا خالد.. أنا لا أبخل عليك بالمساعدة.. لكنني لا أملك الطاقة الآن لأن أعاود الانخراط في دوامة العمل والصراع.. لقد بعدت تمامًا عن كل المغريات والمنغصات واكتفيت.. أريد أن أحيا في سكينة وسلام.. وأنا واثق أنك تستطيع أن تجد الشخص المناسب الذي يساعدك.

أضاءت علامة ربط الأحزمة، وجاء نداء كابتن الطائرة إلى الركاب للاستعداد للهبوط، وجدا السائق في انتظارهما أمام المطار، استقلا السيارة ونزل ناجي بمصر الجديدة بعد أن ودّع خالد وتمنى له رحلة عمل موفقة في سفرته المرتقبة.

fb/mashro3pdf

24

أيام وينطلق خالد في رحلة العمل إلى إيطاليا وألمانيا. بدأ يعد أوراقه ويرتب بعض الأمور العاجلة الخاصة بتدبير الأراضي لمشروعات شركة الاستثمار العقاري حديثة التأسيس، وأمله في الانطلاقة الكبرى في بداية الطريق إلى التوسع والنمو. أجرى اتصالاته مع المسئولين وحاول أن ينهي موضوع أرض طريق السويس قبل السفر، ذلك المشروع الذي ستبدأ به الشركة باكورة أعمالها بإنشاء مدينة سكنية نموذجية على أحدث طراز. مدينة على مساحة أربعين مليون متر مربع تشتمل على المباني السكنية والفيلات، إلى جانب الطرق والمساحات الخضراء، بالإضافة إلى ملاعب للأطفال ونادٍ رياضي لقاطني المدينة، إجمالا سيعهد بتصميمها إلى أحد المكاتب الاستشارية التي يملكها قريب لأحد كبار المسئولين المهيمنين على عمليات تخصيص أراضي البناء، مسئول مرموق بالحكومة والحزب وأسهمه عالية بين كبار رجال الدولة بسبب أياديه البيضاء على الجميع في تخصيص الأراضي بالمدن الجديدة والساحل الشمالي. تعرف عليه خالد في بدية التحاقه بالحزب، ووطد علاقته به لأهمية منصبه بالنسبة إلى نشاط خالد وتوسعاته المرتقبة، قدم له الخدمات الممكنة من شركته في بناء بعض فيلات أبنائه وأقاربه، وأصبح ذا مكانة خاصة عنده مهَّدت له الطريق ليحصل على ما يريد من

fb/mashro3pdf

أراضٍ بشروط ميسرة وتسهيلات كبيرة. كان قد قطع شوطًا طويلا في خطوات التخصيص حتى أوشكت على الانتهاء، لذلك تمنَّى أن ينتهي من موضوع أرض طريق السويس قبل السفر ليدفع به في خطوات التنفيذ.

25

انتهى خالد من تجميع الأوراق التي سيأخذها معه في الرحلة، وغادر المكتب متأخرًا بعد أن تجاوزت الساعة الثامنة مساء، كان طلعت السائق في انتظاره، أمره بالتوجه إلى البيت وهو يرتمي على المقعد الخلفي للسيارة. بدا الإرهاق على ملامحه بوضوح، فقد كان اليوم الأخير له قبل السفر مشحونًا بالعمل والتوجيهات لمساعديه، وتدوين الملاحظات التي يجب أن يأخذها في الاعتبار في مفاوضاته مع الشركات التي سيقوم بزيارتها.

أمر طلعت السائق بالحضور مبكرًا في اليوم التالي ليوصِّله إلى المطار. كانت هدى والأولاد في انتظاره بالبيت فقد اتفقوا جميعًا على العشاء معًا. دخل لأخذ حمام وأعطت هدى الأمر لمحمود السفرجي بترتيب السفرة للعشاء. تحلَّقت الأسرة للعشاء وجرى

fb/mashro3pdf

الحديث بينهم حول السفر والمدة التي سيغيبها. سألهم خالد:

– ماذا تريدون لأحضره لكم معي؟

ابتسمت هبة وقالت لأبيها:

– لقد حضَّرت لك قائمة بالطلبات، حتى لا تنسى.

التفت إلى سيف متسائلا:

– وأنت يا سيف، ماذا تريد؟

فكر سيف قليلا ثم قال:

– يا ريت كاميرا جديدة.

– اكتب لي الماركة حتى لا أحتار في الاختيار.

التفت إلى هدى وقال لها:

– طبعًا أنا عارف طلباتك المعتادة، لو تحتاجين لأي شيء آخر اكتبيه لي.

قالت هبة:

– السفرة القادمة سأجيء معك.

– ماشي يا قمر.

علقت هدى:

fb/mashro3pdf

– السفرة القادمة سنسافر كلنا معًا، أنت تشوف شغلك ونحن نقوم بإجازة.

قال خالد:

– لنقم بإجازة حقيقية في الصيف، بدون شغل.

هتفت هبة:

– فكرة هايلة، ونروح باريس.

قال سيف معترضًا:

– باريس إيه يا شيخة! نروح مكان على البحر أحسن، إيطاليا أو إسبانيا.

استمر الحوار بينهم حول مشاريع السفر والإجازات حتى نهاية العشاء. نهض خالد وهو يقول:

– لازم أنزل أسلِّم على ماما.

هتفت هبة:

– وأنا سأجيء معك.

نزل خالد وهبة لزيارة الحاجة خديجة. شربا الشاي معها وأخذوا قعدتهم معًا يحكون من هنا ومن هناك. نهض خالد للانصراف وودَّعها وهو يسألها:

– عاوزة إيه أحضره لك معي من السفر؟

fb/mashro3pdf

ربتت عليه وهي تقول بحنان:

– عاوزة سلامتك يا حبيبي.. تسافر وترجع بالسلامة.

احتضنها طويلا وهو يقول:

– إن شاء الله تكون سفرتنا القادمة معًا للحج إلى بيت الله.

fb/mashro3pdf

الفصل الثاني

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

1

أقلعت الطائرة بخالد وأقلعت معها أحلامه العريضة بنمو أعماله وتوسعها بلا حدود. ثقة عالية بالنفس والقدرات وانطلاقة روْح مرفرفة، بعد أن أعيتها قيود القضبان ومحاذير التحفظ لسلطة الأب الذي أنشأ الكيان الاقتصادي من العدم ورعاه حتى شب واشتد وأصبح كيانًا اقتصاديًا كبيرًا تدور عجلته بثبات وحكمة، لكن بدون اندفاعات أحلام القوة والنفوذ الطاغي التي تدفع الابن الوريث المتأجج بلهيب الطموح وإغراءات السلطة والسيطرة والثروة.

بعد أن أنهى طعامه طلب قهوة من المضيفة، ساعة أو بعض ساعة ويصل إلى مطار روما، رحلة إيطاليا رحلة مكثفة، سيسافر إلى عدة مدن للقاء العديد من الشركات، يريد أن ينجز أكبر قدر من الاتصالات.. لقاءات في روما وميلانو وتورينو وغيرها من المدن الصغيرة حولهم، رحلات بالطائرة وبالقطار والسيارات.. يسعى للحصول على توكيلات تجارية للعديد من شركات تصنيع مواد

fb/mashro3pdf

البناء والتشطيب، يريد أن يكون الوكيل الوحيد لها في مصر، وتكون باكورة النشاط في شركة التوكيلات التجارية التي سيؤسسها بمجرد عودته بعد حصوله على توكيلات تلك الشركات.. ما أبرح الآفاق التي يمكن ارتيادها.. الشركة ستقوم بتنفيذ أكبر المدن السكنية وستكون مستهلكا رئيسيًا لمواد البناء والتشطيب.. أي شركة عالمية سترحب بالتعامل مع شركة بحجم شركتنا.. كما أننا سننشئ على الفور فروعًا في الخليج وبقية الدول العربية، نسوِّق مشروعاتنا في مصر ونقوم بمشروعات هناك.. سوف نكون أكبر شركة في مجال البناء في الشرق الأوسط.. وسندخل أيضا مجال السياحة على الفور.. نؤسس شركة للسياحة تقوم بإدارة الفنادق.. ونحن الذين سنقوم ببناء سلسلة من الفنادق في القطر المصري.. لن تخرج الفلوس خارج المجموعة.. فنحن الذين سنقوم بالإنشاءات وأعمال البناء.. ونحن الذين سنقوم بإدارة الفنادق والمنتجعات السياحية. هذا هو التخطيط السليم.. مجموعة من الشركات في مجالات الاستثمار المختلفة.. تؤدى الخدمات لبعضها بعضًا ولا تخرج الفلوس خارجها.. أعلن قائد الطائرة عن الاستعداد للهبوط بمطار روما فتنبَّه من أحلامه وربط حزام المقعد.

هبطت الطائرة بمطار روما، وكان مندوب إحدى الشركات في انتظاره بالمطار، اصطحبه بسيارته إلى الفندق الذي تم حجز غرفة له فيه. أبلغه مندوب الشركة أنه سيتركه للراحة من عناء السفر

fb/mashro3pdf

على أن يمر عليه في موعد العشاء، عشاء عمل بينه وبين مسئولي الشركة يبدأ به نشاطه في روما منذ اليوم الأول لوصوله.

2

قضى خالد يومًا واحدًا في روما تقابل فيه مع ثلاث شركات، أنهى مفاوضاته بنجاح، واستقل الطائرة في اليوم التالي إلى ميلانو حيث ينتظره برنامج مشحون بالعمل، سافر بعدها إلى تورينو، وفي اليوم الخامس غادر إيطاليا إلى دوسلدورف بألمانيا، رحلة مكثفة شديدة الإرهاق، لكنه كان مندفعًا بكل طاقته في سبيل إنجاز مهامه للعودة بأسرع ما يمكن إلى عمله وأحلامه بمصر. نفس المجهود المكثف قام به في ألمانيا وأتم تعاقداته بنجاح لاستيراد ما تحتاجه الشركة من معدات، نجح أيضا في الحصول على توكيلات لشركات ألمانية شهيرة يقوم بتسويق منتجاتها في مصر. وضع في هذه الرحلة الأساس المتين لنشاط التوكيلات التجارية الذي قرر الدخول إليه بقوة، إلى جانب نشاط الاستيراد الذي يكمله. استغرقت الرحلة حتى الآن ثمانية أيام مشحونة بالعمل المضني، قرر بعدها أن يمنح نفسه يومًا راحة قبل عودته إلى القاهرة. كان يريد أن يفتح حسابًا في أحد البنوك الألمانية ليستقبل فيه العمولات

fb/mashro3pdf

التي ستحصل عليها شركته من نتائج نشاط التوكيلات التجارية. فكر أيضا أن يفتح حسابًا في سويسرا في مرة قادمة، في أول رحلة عمل يقوم بها في المستقبل القريب. قرر في يوم راحته أن يقوم بالتسوُّق لشراء الهدايا لهدى والأولاد بعد أن ينتهيَ من فتح حساب البنك.

بعد أن انتهى من شراء هدايا الأسرة، قام بشراء هدية قيمة لليلى يسري، طاقم مكون من عقد وحلق من الأحجار الكريمة، دفع فيه بسخاء، فهذه أول هدية يهديها لها، ولا بد أن تكون أخَّاذة مبهرة تتناسب مع مركزه وتشي لها بمكانتها عنده.

استقل الطائرة عائدًا في اليوم التالي بعد أن أنجز بنجاح كل لقاءاته وتعاقداته مع الشركات التي خطط للقائها. استرخى في مقعده بالطائرة وهو يسرح بفكره.. رحلة موفقة.. لكن الأهم هو دفع عجلة العمل بمصر الآن.. تنهَّد بارتياح وهو يتمتم.. سأتصل بها من المطار.. وسأزورها غدا بإذن الله.. لو سارت الأمور كما أشتهي!.. قد تكون معي في الرحلة القادمة.. من يدري؟..

fb/mashro3pdf

3

بمجرد أن حطت الطائرة على أرض مطار القاهرة، أخرج الموبايل من جيبه وفتحه. اتصل برقمها وبان الترقب على وجهه.. لماذا لا ترد؟.. كأنها لا بد أن تستجيب عندما يَعِنُّ له استدعاؤها.. وضع الموبايل في جيبه وعلامات الإحباط ترتسم على ملامحه المجهدة من عناء الأيام السابقة. أخرج الموبايل مرة أخرى كمن تذكر أمرًا فات عليه، اتصل بهدى وأبلغها بوصول الطائرة.

أنهى إجراءات الجوازات ووقف ينتظر وصول الحقائب. رن جرس الموبايل أثناء وقوفه منتظرًا، نظر بسرعة إلى المتصل فوجد اسمها.. رد بسرعة ولهفة، جاءه صوتها من الطرف الآخر فانفرجت أساريره.. الله يسلِّمك.. وصلت للتو.. الحمد لله.. لكن الرحلة كانت مرهقة جدًا ومكثفة.. ما أخبارك أنتِ؟.. الله يخلِّيكِ.. وأنتِ كمان والله.. أي وقت تحبين.. ما رأيك بُكرة بالليل؟.. خلاص.. الساعة تسعة.. أشوفك بكرة إن شاء الله.. تنفَّس الصعداء.. ها هي قد اتصلت.. ياه!.. ماذا جرى؟.. هل تعلَّقت بها إلى هذا الحد؟.. أم أن الغربال الجديد له شَدَّة.. لمح حقيبة من الحقيبتين، تلتها الأخرى بعد قليل.. أنزل الحقائب من فوق السير ووضعهما على العربة، اتجه إلى الجمارك فمر منها وخرج ليجد طلعت السائق في انتظاره، كان قد أخذ التعليمات من المكتب بانتظاره في المطار في

fb/mashro3pdf

موعد وصول الطائرة.. حمد الله على السلامة يا خالد بك.. مصر نوَّرت.. أخذ العربة منه وسار أمامه في اتجاه موقف السيارات.

انطلقت السيارة في اتجاه حي المهندسين وخالد هائم مع أفكاره يكاد ينفصل عما حوله. قال لطلعت عند الوصول:

– طلِّع الشُنَط وتعالَ لي بكرة الساعة العاشرة.

4

مرَّ على والدته أثناء صعوده أولا، استقبلته بحفاوة بالغة واحتضنته طويلا، وقف معها لبعض الوقت يتبادلان الحديث ثم استأذنها ليصعد إلى أسرته، للحاجَّة مكانة خاصة في العائلة وفي قلبه، ولا يستطيع أن يتجاوزها إلى بيته دون أن يمر للسلام والاطمئنان. كانت الأسرة بكاملها في انتظار موعد عودته، أمضى الليلة معهم في توزيع الهدايا والسمر حول الرحلة وأحوالهم جميعًا ثم تجمعوا حول مائدة الطعام لتناول العشاء معًا. سأل سيف:

– ما أخبار المذاكرة؟

– الحقيقة زهقت على الآخر.

fb/mashro3pdf

– خلاص هانت يا بطل، أسابيع قليلة تنتهي من الدراسة وتتخرج.

علقت هدى:

– الحقيقة سيف بذل مجهودًا كبيرًا هذا العام، إن شاء الله ينجح بتقدير.

قال خالد وهو يهم بالنهوض:

– المهم ينجح وخلاص، أريده معي في الشركة فورًا.. أمامنا مهام كثيرة.

تساءلت هبة بدلال:

– وأنا يا بابا.. لي مكان عندك في الشركة؟

– يا سلام يا ست هبة.. دا أنتِ تنوَّري الشركة.

5

انطلق بنشاط في الصباح إلى المكتب، مهام عديدة يجب ترتيبها بعد رحلة العمل الموفقة. استدعى مساعديه إلى اجتماع عام استعرض فيه رؤيته المستقبلية لنشاط الشركة في ضوء نتائج

fb/mashro3pdf

رحلة العمل. شرح لهم ما توصل إليه من نتائج، والشركات التي تم الاتفاق معها على الحصول على توكيلاتها التجارية لتمثيلها في مصر. عهد بمهمة إدارة ومتابعة نشاط التوكيلات التجارية إلى أحد مساعديه الذي رآه مناسبًا للمهمة. أنهى الاجتماع ثم طلب مدير المشروعات ليستفسر منه عن مشروع المدينة الجديدة بطريق السويس. أبلغه مدير المشروعات أن استلام الأرض تحدد في الأسبوع التالي، تهلّل خالد لسماع الخبر، وبدأ في بحث ترتيبات البداية في المشروع، سيكون هذا المشروع باكورة نشاط شركة الاستثمار العقاري، مشروع ضخم على مساحة أربعين مليون متر مربع، ستكون نموذجًا للمدن السكنية كما ينبغي أن تكون.. هكذا يردد دائمًا بفخر وزهو.. رتب لها كل الترتيبات التي تسهم في سير العمل بسلاسة وسرعة.. المحاجر ومعدات البناء التي تعاقد عليها في رحلته، إلى جانب التمويل اللازم لانتظام العمل. لم يبق إلا الانطلاق والمضيّ في المشروع.

استمر في اجتماعاته مع الفنيين والمهندسين ثم واصل مع الإدارة المالية لترتيب التدفقات النقدية وخطوات فتح اعتمادات الاستيراد للمعدات التي تم التعاقد عليها، مع دراسة موقف البنوك والمركز المالي للشركة. انتهى من كل ذلك في وقت متأخر، نظر إلى ساعته فوجدها قد جاوزت الخامسة، يجب أن ينال قسطًا من الراحة قبل موعد ليلى يسري، لملم أوراقه وغادر المكتب

fb/mashro3pdf

متجهًا إلى البيت. تناول طعامًا سريعًا بمفرده، فلم يكن أحد بالبيت. دخل لقيلولة قبل أن يحين موعده. نهض في الثامنة وأخذ حمامًا ثم ارتدى ملابسه، جاءت هدى قبل أن يغادر، كانت في أحد اجتماعاتها الخيرية، سألته عن وجهته فقال لها إنه على موعدِ عملٍ مع أحد رجال الأعمال. أخذ حقيبة أوراقه وغادر مسرعا. استقل سيارته وانطلق إلى بيت ليلى يسري. فتح الراديو فانطلق صوت أم كلثوم.. ويا له من فأل حسن.. رجَّعوني عنيك لأيامي اللي راحوا..... إللي شفته قبل ما تشوفك عينيَّ..... إنت عمري اللى ابتدا بنورك صباحه إنت عمري..

6

وصل إلى بيت ليلى يسري وركن السيارة، فتح حقيبة أوراقه وأخرج منها الهدية ثم وضع الحقيبة في شنطة السيارة. صعد إلى شقتها متوثِّبًا، فتحت له الباب بنفسها واستقبلته بالقبلات والترحيب الحار، لم تستقبله بغرفة الاستقبال هذه المرة، لكنها قادته إلى غرفة المعيشة، ملمح خافت يشي بالحميمية دون أن يفصح. قالت له وهو يهم بالجلوس:

fb/mashro3pdf

– إن شاء الله تكون الرحلة موفقة؟

– الحمد لله كانت موفقة جدًا، لكنها كانت مرهقة للغاية.

– حمد الله على السلامة.. ماذا تشرب؟

قدم لها الهدية وهو يقول:

– أولا.. هذه هدية بسيطة.. أرجو أن تعجبك.

احمرَّ وجهها خجلا وارتباكًا وهي تمد يدها لأخذ الهدية وهي تقول متلعثمة:

– أنا متشكرة جدًا.. كتَّر خيرك.. لا أدري ماذا أقول لك!..

– لا شيء.. المهم أن تعجبك.

فضَّت اللفافة وفتحت العلبة، فبدا الامتنان على وجهها، تنهَّدت بعمق وهي تقول:

– الله.. جميلة جدًا.. ذوْقك رائع.. أنا متشكرة جدًا.. دا كتير!..

– دا أقل من مقامك.. ألْبسيها لأراها عليكِ!..

أخذت العُقد من العلبة ووضعته حول عنقها، هتف خالد بحماسة:

– الله.. لايق عليكِ جدًا.. لقد أضفت إليه جمالا فوق جماله..

تخضَّب وجهها بحمرة إضافية لكَمِّ الإطراء الذي نالته منه، قال لها:

fb/mashro3pdf

– ألْبسي الحلق كمان..

خلعت الحلق الذي تضعه في أذنيها ولبست الحلق، تألقت في الطاقم وتألق عليها في الحقيقة. هز رأسه متعجبًا:

– حقيقي روعة.. لم أكن أتصوره بهذا الجمال.. ألف مبروك عليكِ.

نهضت من مكانها وشكرته بحرارة مقبِّلة إياه بحميمية وامتنان، سألته مجددًا:

– والآن.. ماذا تشرب؟

– آخذ كأس ويسكي.

أعدَّت كأسين لهما وعادت لتقدم له كأسه. سألته قبل أن تجلس:

– هل تحب سماع شيء معين؟

– سأترك لك الاختيار.

توجَّهت إلى جهاز الموسيقى ووضعت إسطوانة انبعث منها بعد قليل صوت فيروز وهي تصدح بعذوبة صوتها.. حبَّيتك بالصيف.. حبَّيتك بالشتا..

هتف خالد:

– الله.. فيروز!..

fb/mashro3pdf

قالت وهي تجلس:

– أنا أحب فيروز في أي أغنية تغنيها.

انساب الحديث بينهما على أنغام فيروز، سألها بعد برهة:

– ما أخبار عمرو؟

تقلصت ملامحها لسماع اسم ابنها ثم قالت وقد اختنقت بالدمع:

– والله واحِشني خالص، حلمت به الليلة البارحة وصحوت من النوم وأنا أبكي.

قالت ذلك وعيناها تفيضان بالدموع، مدت يدها إلى علبة المناديل وسحبت منديلا كفكفت به دموعها. تأثر خالد لبكائها وقال متحرجًا:

– أنا آسف جدًا..

استمرت في بكاء صامت حار. نهض خالد من مكانه وجلس إلى جوارها يربِّت عليها مواسيًا، قال لها:

– لماذا لا تسافرين لرؤيته؟

– لقد كنت هناك قريبًا.. السفر مُكَلِّف وليس سهلا.. الحقيقة البُعد صعب جدًا.

أحاطها بذراعه ثم احتواها في حضنه فاستسلمت له بارتياح،

fb/mashro3pdf

استندت برأسها على صدره وتنهدَّت بعمق. قال لها بحنان:

– ما رأيك في دعوة منِّي للسفر إلى بيروت في نهاية الأسبوع القادم، تطمئنين على عمرو وأنا آخذ إجازة قصيرة أحتاجها فعلا.

استدارت له بانفعال وهي تتساءل:

– صحيح!..

– طبعا.. أنا لا أقول كلامًا في الهواء، أنا أعي ما أقول.

نظرت إليه تكاد تكون غير مصدِّقة، ارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يراقب انفعالاتها ثم قال ليحسم الأمر:

– سأمر غدًا بحجز التذاكر، وساحضرها لك بنفسي.

احتضنته ممتنة فضمها إليه، نظرت إليه نظرة تشي بمزيج من الامتنان والإعزاز والود، نظرة مستسلمة داعية واعدة جذبته إليها بمجالها الطاغي في سحره والمرحِّب بأنوثته فاقترب بوجهه كالمُغَيَّبِ وهي لا تُحَوِّلُ نظراتها الملهوفة عن عينيه، ارتجفت شفتاها نداءً لبَّاه دون وعي بلا تردد وراحا في قُبلة طويلة مشتعلة بكل ما تحمله اللحظة من معانٍ وانفعالات جياشة. سلَّمته كيانها وأسلمته نفسها وجسدها جميعًا فراحا في غيبوبة مسحورة لم ينتبها منها إلا مطلع الفجر في فراشها الدافئ المُعَطَّر بشذى عطرها وعرقها وأنوثتها في آنٍ واحدٍ مهيب.

fb/mashro3pdf

تحرك ليبحث عن نور الأباجورة ليرى الساعة، انتبهت فجذبته إليها وتمتمت برجاء.. أرجوك.. لا ترحل.. ابقَ معي.. أنا أحتاجك.. رَبَّتَ عليها وقبَّلها وهو يهمس لها برفق.. لا بد أن أعود للبيت.. لقد سرقنا الوقت.. النهار طلع تقريبًا.. تشبَّثت به.. أرجوك.. لا تتركني.. احتضنها وهو يقول لها.. عندي مواعيد غدًا ولا بد أن أغادر الآن.. سحب نفسه ودخل إلى الحمام.. عاد وارتدى ملابسه الملقاة على أرضية الغرفة ممتزجة بملابسها.. جلست في الفراش تنظر إليه في أسى.. قَبَّلها وغادر الغرفة مسرعًا. بدأ نور النهار في الظهور وهو في سيارته.. بدا كالمذهول.. ماذا حدث بالضبط؟.. وكيف حدث؟.. امرأة شديدة الأنوثة والدفء.. لم أشعر بنفسي.. كيف تطور الأمر؟.. يا لها من أنثى جذابة ومفعمة بالحياة.. لا أستطيع أن أستوعب.. ربنا يستر!..

ترك سيارته لحارس الجراج وصعد مسرعًا، فتح باب الشقة بهدوء ودخل على أطراف أصابعه، دلف إلى غرفة نومه.. استبدل ملابسه سريعًا واندس في الفراش، تململت هدى في الفراش وتيقظت.. كم الساعة؟.. حوالى السادسة.. يا.. لماذا تأخرت كل هذا.. ظروف القعدة والكلام أخذنا في الشغل.. استدار وحاول النوم، نهضت هدى إلى الحمام وعادت.. تشمَّمت رائحة لفتت انتباهها وهي تدخل إلى الفراش.. تنبَّهت.. نظرت إليه وهو راقد

fb/mashro3pdf

إلى جوارها.. تمدَّدت في الفراش.. تشمَّمت مرة أخرى.. تيقظت.. نهضت بهدوء من الفراش وخرجت من الغرفة.

7

تنبَّه خالد من نومه وقد انتصف النهار، نظر إلى المنبِّه وقفز من السرير، دخل إلى الحمام واستعد سريعًا، استبدل ملابسه وخرج إلى الصالة، كان البيت هادئًا، عرف أنه لا يوجد أحد بالبيت، غادر البيت دون أن يتناول شيئًا، كان طلعت السائق في انتظاره.. بسرعة على المكتب، كثير من الترتيبات يجب أن تتم اليوم، ففي الغد سوف يتم توقيع عقد أرض المشروع الجديد بطريق السويس، وبعدها سيتم استلام الموقع.. كان قد أبلغ مساعديه بالأمس باجتماع اليوم لترتيب كل هذه الأمور.. وها هي الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ظهرًا.. يا لها من ليلة.. شيء لم يكن في الحسبان.. ياه.. لكن ترى هل غضبت بسبب تركي لها ونزولي مسرعا.. كان لا بد أن أسارع بالانصراف.. لقد وصلت البيت مع طلوع النهار.. ربنا يستر.. سأتصل بها بمجرد وصولي المكتب.. لازم أطمئن عليها.. أخشى أن تكون زعلانة.. سأصالحها.. سأعطي الأوامر

fb/mashro3pdf

للمهندس بإنهاء التصميمات النهائية للفيلا.. وسنبدأ في العمل على الفور.. سأنهيها لها في زمن قياسي.. ستكون أيضا مكانًا أفضل للقاء.. فيلا خاصة تختلف عن شقة في عمارة.. سأتردد عليها كثيرًا والحذر واجب.. مكانتي لا تسمح بالمخاطرة.. وصل إلى المكتب وانطلق مندفعًا.. دخل إلى غرفة مكتبه، وطلب من السكرتيرة أن تبلغ مساعديه بحضوره، وأن الاجتماع سينعقد بعد نصف ساعة.. طلب شايًا وتناول قطعة من البسكويت من علبة يحتفظ بها في المكتب.. اتصل بليلى.. صباح الخير.. متى استيقظت؟.. لقد وصلت إلى المكتب للتو.. عندي اجتماع مهم سأتصل بك بعد الانتهاء منه.. ستكونين في البيت.. أوكي.. سلام.

اتصل بالسكرتيرة وطلب منها أن تدعو إلى الاجتماع، توافد المساعدون من الإدارة القانونية والإدارة المالية، إلى جانب مدير المشروعات، واندمجوا في مناقشة ترتيبات توقيع عقد أرض طريق السويس وخطوات استلام الأرض وبداية التنفيذ.

كان قد اتصل بشركة السياحة التي يتعامل معها، وطلب حجز تذاكر بيروت وإرسالها له في المكتب في ظرف مغلق.

fb/mashro3pdf

8

انتظمت الاتصالات بين خالد وليلى بمعدل شبه يومي. أصبح يتابع كل أخبارها وتحركاتها ويشارك في متاعبها ومشكلاتها. انشغل في إجراءات استلام الأرض واتخاذ الخطوات المبدئية لبداية ذلك المشروع الضخم. وضع مع مدير المشروع الخطوط العريضة لاحتياجات المشروع من مهندسين وملاحظين وعمالة، إلى جانب التمويل اللازم لانتظام المشروع. اتصل بليلى بعد انتصاف الأسبوع التالي واتفق معها على المرور عليها في البيت ليلا، قال لها.. عندي لكِ مفاجأتان.. دفعها حب الاستطلاع لأن تعرف منه شيئا لكنه أبى أن يروي ظمأها.

في المساء، مر عليها. استقبلته بشوق ولهفة، لم تره منذ بضعة أيام، اكتفيا بالاتصالات التليفونية نظرًا لانشغاله الشديد، يتحرك في عدة جبهات، المشروع الجديد، توسعات نشاطات الشركة، إلى جانب السعي الدءوب لتأمين مساحات أخرى من الأراضي لمزيد من المشروعات، كل ذلك من خلال تنشيط شبكة اتصالاته برجال الدولة، وتدعيم وضعه بالحزب وفي وسط رجال الأعمال. فتِحَت شهيته وانطلق بأقصى طاقاته ليعوِّض ما فات وما عاناه من تحجيم وكبح لطموحاته في حياة أبيه.

fb/mashro3pdf

قالت له بمجرد جلوسه:

– قل لي.. ما هي المفاجأة؟

– ألن تقدمي لي شيئًا في الأول؟

– لا أستطيع الانتظار.. طيب.. ماذا تريد؟

– أشرب فنجان قهوة الأول.. سادة.

قامت لتطلب له القهوة ثم عادت، وهي تتحفز لمعرفة المفاجأة، تململت في مقعدها وهي تنتظر بصبر نافد.. أخرج من جيبه ظرف التذاكر وأعطاه لها. فتحته بشغف لتجد تذكرتها إلى بيروت.. هتفت بفرح:

– الله.. تذكرة السفر!

نهضت من مكانها واحتضنته طويلا وهي تشكره، سألته:

– ألن تسافر معي كما وعدتني؟

– سأسافر طبعًا.

– وأين تذكرتك؟

– عندي في المكتب.

فتحت التذكرة وتفحَّصتها.. سنسافر الخميس!.. والعودة الأحد!.. على طول كده!..

fb/mashro3pdf

– عندي شغل.. إذا أردتِ أنتِ البقاء بضعة أيام يمكن أن أغير لك الموعد؟

فكرت قليلا ثم هزت رأسها وقالت:

– لا.. سأعود معك.. يكفي أنني سأرى عمرو وأطمئن عليه، هو عنده مدرسة.

قال لها:

– أما المفاجأة الثانية فهي أن رسومات الفيلا النهائية قد تمت، وسوف نبدأ في الموقع فورًا.. خلال أيام يعني.

بان الارتباك على وجهها وقالت بحيرة:

– لكني لست مستعدة ماديًا الآن كما قلت لك.

– وهل أنا طلبت منكِ شيئًا؟

تململت خجلا وتمتمت:

– إزّاي بَس.. يعني.. كيف؟

قال لها بحزم ودود:

– لا تنعي الهم.. أنا سأتصرف.. وادفعي على مهلك يا ستي.. عندما تحبين.... إن شاء الله بعد عشر سنين... خلاص... انسِ الموضوع والآن هاتي لنا كأسا.. أنا عطشان.

fb/mashro3pdf

أطرقت خجلَى ثم قامت في صمت لتعد المشروب. لم تنسَ أن تدير إسطوانة لفيروز قبل أن تعود.. انطلق صوتها العذب فأحيا المكان.. راجعين يا هوى راجعين.. يا زهرة المساكين.. راجعين يا هوى على دار الهوى.. على نار الهوى.. راجعين.. عادت لتجلس إلى جواره وتريح رأسها على صدره.

قضى السهرة معها وهو يزمع ألا يتأخر مثل المرة السابقة، سرقه الوقت حتى الرابعة صباحا قبل أن يتنبه ليستعد للرحيل، ودَّعها وهي تغط في نوم هانئ عميق.

9

اتفق معها على أن تقابله في المطار صباح الخميس، طائرة الميدل إيست موعدها في منتصف النهار، موعد مريح للسفر، مر على المكتب في الصباح لفترة وجيزة ثم توجه إلى المطار. كانت ليلى قد وصلت قبله بقليل، أنهيا إجراءات السفر ودخلا إلى السوق الحرة، قامت ببعض المشتريات لاحتياجاتها من أدوات التجميل ثم توجها إلى الكافتيريا انتظارا لموعد قيام الطائرة. سألته:

– في أي فندق حجزت؟

fb/mashro3pdf

– فندق فينيسيا.

سمعا نداء الطائرة فتوجها إلى بوابة الخروج لطائرة شركة الميدل إيست، دخلا إلى الطائرة في المقدمة مع ركاب الدرجة الأولى، وجلسا في مقاعدهما انتظارًا لركوب بقية الركاب. أقلعت الطائرة في موعدها فعلق خالد:

– الحمد لله.. قمنا في الموعد.. سنصل مبكرًا ونستطيع الاستفادة باليوم.

انتبهت من شرودها وقالت له:

– سأذهب لرؤية عمرو وسأعود في المساء لنقضي السهرة معًا.

– سأنتظرك في الفندق.. هل تحبين السهر في مكان معين؟

– لا.. من الأفضل العشاء في أي مطعم قريب.. أو حتى في الفندق.

سألها بعد برهة:

– متى ستعودين تقريبا؟

سرحت بفكرها قليلا ثم أجابته:

– الساعة التاسعة.. معقول؟

fb/mashro3pdf

– أوكي.. قد أغادر الفندق لبعض الوقت، لكني سأكون في انتظارك في التاسعة.

أعلن قائد الطائرة عن الاستعداد للهبوط وربط أحزمة المقاعد، رحلة سريعة ومريحة. حطت الطائرة بمطار بيروت وتوجها للجوازات للحصول على تأشيرة الدخول، أبرز خالد المبالغ المطلوبة للسماح بالحصول على التأشيرة من المطار، وأخبر السلطات باسم الفندق الذي تم الحجز فيه. حصلا على تأشيرة الدخول بيسر وتوجها لاستلام الحقائب.

10

كانت سيارة الليموزين التي أرسلها الفندق في استقبالهما بالمطار. توجهت بهما إلى الفندق حيث أتمَّا إجراءات الدخول وصعدا إلى السويت المحجوز لهما، سويت متسع يشتمل على ثلاث غرف، غرفتين للنوم والمعيشة مع غرفة للطعام منفصلة بباب، بالإضافة إلى حمامين وشرفة تطل على البحر في مشهد رائع يسحر الألباب. دخلت ليلى إلى الحمام لتستعد للذهاب إلى ابنها، بينما جلس خالد في الشرفة يلتقط أنفاسه من عناء السفر

fb/mashro3pdf

والعمل الدءوب في الأيام السابقة. جاءت إليه بعد قليل لتودِّعه واتفقا على اللقاء في التاسعة بالفندق.

دخل ليستحم بعد قليل ثم ارتمى في الفراش وراح في نوم عميق. استيقظ مع الغروب وطلب الشاي. فتح جهاز التليفزيون وأخذ يمر على المحطات ولا يستقر على أي منها، جاءه الشاي بعد قليل فشربه على مهلٍ في الشرفة ثم قام للاستحمام واستبدال ملابسه استعدادًا لوصول ليلى ليصطحبها للعشاء.

جاءت ليلى بعد التاسعة بقليل، ارتمت في حضنه وقبَّلته وهي تقول ممتنَّة:

– لا أعرف كيف أشكرك..

وضع كفَّه على فمها ليسكتها وهو يقول هامسًا:

– لا يوجد ما يدعو للشكر.. لقد جئنا معًا في رحلة استجمام سريعة كنت محتاجًا إليها.. أنا الذي أشكرك على الصحبة الجميلة..

قال ذلك ثم قبَّلها قبلة طويلة. سألها:

– هل تعرفين مطعمًا ظريفًا ترشحينه للعشاء؟

– ما رأيك في أن نتعشى هنا في مطعم الفندق؟.. أشعر بالإرهاق وأفضِّل عدم الخروج الليلة.

fb/mashro3pdf

– لا بأس.. أنا لا يهمني المكان.. المهم أننا معا.

طبعت على شفتيه قُبلة سريعة ثم انسحبت لتستعد للنزول.

11

جلسا في مطعم الفندق يتبادلان الحديث أثناء تناولهما للطعام، سألها:

– كيف حال عمرو؟

هزت رأسها أسى وهي تقول:

– لقد تركني بصعوبة، كان يريدني أن أبيت معه.

– وكيف قضيتما الوقت؟

– في البيت.

تردد قليلا قبل أن يسأل:

– ألا تجدين حرجًا من زيارة أسرة طليقك؟

– لا.. على الإطلاق، هو ابن خالتي.. وزوجته ست طيبة ومرحِّبة. تهتم بعمرو كأولادها وهو يحبها.

fb/mashro3pdf

– الحمد لله، هذا يسهِّل عليكِ الفراق.

هزَّت رأسها وقالت بأسى:

– الفراق صعب في جميع الأحوال.. قلب الأم..

– أي وقت تشتاقين لرؤيته سنحضر لبيروت يا ستي، ولا تنعي الهم.

نظرت إليه بامتنان وهي تقول:

– ربنا يقدَّرني على رد جمايلك.

عاتبها بنظرة قائلا:

– وهل توجد بيننا جمايل!.. أنت لا تعرفين ما هي مكانتك عندي.

خفضت رأسها خجلا وهي تتمتم:

– وأنت أيضا.. ربنا يعلم..

أنهيا عشاءهما فقالت له:

– ما رأيك ننتقل إلى السويت؟.. نقعد على راحتنا أحسن.

– معك حق، سأطلب الحساب.

دفع الحساب وغادرا المطعم إلى السويت، طلب خالد زجاجة

fb/mashro3pdf

شمبانيا من خدمة الغرف، وجلسا في الشرفة يتسامران، جاءت الشمبانيا فنهضا لاستبدال ملابسهما بعد مغادرة الجرسون. نسمة رطبة هبَّت من ناحية البحر فأنعشت الجو، قالت له:

– هذه الرحلة كانت مفاجأة رائعة لي.. لقد حققت لي رغبة عزيزة عليَّ.. أزور بيروت وأرى عمرو بدون سابق ترتيب.. ياه.. ربنا يخلِّيك لي.

رَبَتَّ عليها بحنان ثم ضمَّها إليه، قال لها:

– لقد كنت أحتاج إلى إجازة قصيرة في هذا الوقت، وأجمل ما في الإجازة أنني أقضيها معك.. لقد دخلتِ إلى قلبي بسرعة لم أتخيَّلها.

انكمشت في حضنه وتنهدَّت بعمق، قالت هامسة:

– هيا بنا لندخل إلى السرير.

أخذ بيدها وانسحبا إلى داخل الغرفة، أغلق النافذة ودخلا إلى غرفة النوم، غابا في عالمهما الخاص بعيدًا عن الدنيا، وانغمسا في فيض مشاعرهما المتدفق الفوار. راحا بعدها في نوم هانئ مطمئن عميق استسلما له بسلاسة بعد أن أطلقا لمشاعرهما العنان.

fb/mashro3pdf

12

استيقظا مع الضحى وتكاسلا في الفراش يتداعبان، نهضت ليلى إلى الحمام وطلب هو الإفطار من خدمات الغرف. جاء الإفطار بعد قليل وجلسا يتناولان إفطارهما بهدوء. سألته:

– كم الساعة الآن؟

– الحادية عشرة والربع.

– ماذا ستفعل اليوم؟

– لا أدري.. سأنزل لصلاة الجمعة ثم أتناول الغداء في أي مطعم. أريد أن أن أتحرك على راحتي.

أكملت إفطارها ونهضت وهي تقول له:

– سأستعد الآن للنزول وأراك في المساء.

– حاولي ألا تتأخري.

– أوكي.. سأجيء في الثامنة تقريبًا.

دخلت إلى الحمام وخرجت بعد قليل لترتدي ملابسها وتضع مكياجها. ودَّعته وانصرفت فنهض ليستعد هو الآخر. نزل إلى اللوبي وسأل في الاستقبال عن أقرب جامع ثم توجه إليه لأداء صلاة الجمعة.

fb/mashro3pdf

عاد إلى الفندق بعد تناول الغداء في أحد المطاعم في الطريق. صعد إلى السويت لنوم القيلولة بعد أن تجول في أنحاء الفندق ليتعرف عليه. قرر أن يقضي اليوم التالي في حمام سباحة الفندق في الوقت الذي تذهب فيه ليلى لابنها.

13

بعد تناول الإفطار في رحلة العودة بالطائرة، أسندت ليلى رأسها إلى كتف خالد ونعست، الحركة والانفعالات كانت مكثفة في بيروت، أمسك بكفها وأسند رأسه إلى مسند المقعد مسترخيًا.. تنهَّد تنهيدة عميقة.. يا لها من أيام خاطفة.. مرت كلمح البصر.. آه لو سمحت الظروف وأمكن إطالة المدة.. لكنها كانت مشغولة معظم الوقت مع ابنها.. لا بأس.. فقد أمضينا لحظات من الخيال.. يجب أن أرتب لرحلة إلى أوربا.. نقضي الوقت معا بلا مشاغل أخرى.. ولا تكون رحلة عمل بأي حال من الأحوال.. رحلة للمتعة.. ياه!.. لم أكن أتصور أن تجري الأمور بهذا الشكل!.. لقد أصبحت شيئًا مهمًا في حياتي.. أعادت لها الروح وانتشلتها من رتابة العمل والحياة.. امرأة متفجرة بالأنوثة والنعومة.. وتتمتع أيضا بقوة الشخصية.. خلطة رائعة.. لا شك أن وراءها ذكاء مرتفعًا.. تحركت برأسها

fb/mashro3pdf

مستقرة في كنفه.. ارتسمت ابتسامة على شفتيه.. كم أصبحت قريبة إلى قلبي.. اقترابها يبعث النشوى في كل كياني.. آه!.. لو لم أكن متزوجًا لتزوجتها على الفور.. ومن أفضل منها يمكن أن تسعد الرجل.. وهل يمكن أن تفكر في الزواج من ممثلة؟.. على العموم هي ليست ممثلة مشهورة ولا تعمل كثيرًا.. يمكن أن أقنعها بالاعتزال.. ولماذا ترفض إذا كانت ستجد سعادتها وتعيش معززة مكرمة!.. ياه!.. لقد ذهبت بعقلك بعيدًا.. كل هذا كلام نظري ومجرد أمنيات.. أنت متزوج وأولادك الآن شباب.. سيف سيتخرج بعد أسابيع وهبة بعده بعامين.. يعني على وش جواز.. ياه!.. دا الزمن جرى في غفلة منا.. المهم.. هي إلى جوارك الآن.. فلتفكر في اللحظة ولا تفسد الاستمتاع بها بهواجس الزمن والظروف.. أعلن قائد الطائرة عن قرب هبوط الطائرة وربط أحزمة المقاعد.. تيقظت ليلى استعدادًا للهبوط.. سألته:

– ماذا ستفعل اليوم؟

– سأذهب على الفور إلى المكتب.

– ألن تمر على البيت أولا؟

– لا.. يجب أن أراجع بعض الأمور أولا ثم بعدها أذهب للبيت.

صمتت قليلا ثم سألته:

fb/mashro3pdf

– ومتى سأراك؟

– سأتصل بك غدًا من المكتب.

أطرقت صامتة وبدت كالمهمومة.. هبطت الطائرة وتوجه الركاب إلى منافذ الجوازات ثم اتجهوا لاستلام الحقائب. استقلا سيارة ليموزين إلى المهندسين، أوصلها إلى البيت ثم توجه إلى المكتب. اتصل بهدى وهو في الطريق ليبلغها بوصوله وتوجهه إلى المكتب لأمر مهم، وأنه سيعود بعد ذلك إلى البيت للغداء.

14

ظهرت النتيجة ونجح سيف. أقامت الأسرة حفلا عائليًا تجمَّع فيه أفراد العائلة ببيت خالد، ها هو قد تخرج وأصبح مهندسًا. قال له أبوه:

– هيا يا باشمهندس، استعد لتبدأ العمل في الشركة، لقد استلمنا أرض مدينة 6 أكتوبر، وستبدأ في المشروع من بدايته.

قالت الحاجة خديجة لابنها:

– أعطه فرصة ليأخذ إجازة يستريح فيها من الدراسة والامتحانات.

fb/mashro3pdf

– إجازة قصيرة، أريده أن يتدرب في المشروع منذ بدايته.

قال سيف:

– أسبوع واحد يكفيني، سأسافر إلى شرم الشيخ مع بعض الأصدقاء وبعدها سأكون جاهزًا لبدء العمل.

علَّق خالد:

– أسبوع واحد ليس مشكلة، متى ستسافر؟

– بعد يومين.

تساءلت هبة:

– ألن نأخذ إجازة معا؟.. لقد وعدتنا بإجازة في الصيف نسافر فيها للخارج..... هل نسيت يا بابا؟

ارتبك خالد وأجابها متلعثمًا:

– لا لم أنس.. ما زال الصيف طويلا..

– خلاص.. لنرتب للسفر من الآن حتى نستطيع أن نحصل على التأشيرات.

أسقط في يد خالد فقال:

– رتبوا الرحلة أولا وبعدها نرسل للحصول على التأشيرات.

fb/mashro3pdf

15

اتصل خالد بليلى وقال لها:

– ماذا تفعلين الآن؟

– لا شيء.. أتكاسل في السرير.

– قومي لتستعدي.. سأمر عليكِ بعد ساعة للذهاب معًا لمشوار صغير.

– إلى أين؟

– مفاجأة.

– لا تحيرني.. قل لي إلى أين.

– وكيف ستصبح مفاجأة.. لا تحاولي.. سأكون عندك بعد ساعة.

أنهى المكالمة فقامت لتستعد. ابتسمت.. خالد مولع بالمفاجآت.. تنهَّدت وتمتمت.. حقا لقد ملأ عليَّ حياتي.. كانت حياتي بلا معنى في الفترة السابقة.. المرأة بدون رجل في حياتها ينقصها الكثير.. ترى ما المفاجأة؟..

مر عليها بعد ساعة فنزلت إليه، ركبت إلى جواره في السيارة

fb/mashro3pdf

وهي تتحفَّز لاقتحامه حتى تستطيع أن تظفر بأي معلومة حول المفاجأة. تحرك بالسيارة وانطلق إلى التجمع الخامس دون أن يفصح عن أي شيء في مواجهة فيض تساؤلاتها، اقتربا من طريق الأرض فبدأت تساؤلاتها تتجه صوب موضوع الفيلا، وصلا أخير إلى موقع الأرض فهالها ما رأت.. معقول!.. ارتمت في حضنه وقبَّلته بلا محاذير.. ما هذا.. لا أكاد أصدق.. كان الهيكل الخرساني للفيلا قد انتصب أمامها والعمل يجري فيها على قدم وساق.. قال لها متسائلا:

– ما رأيك في المفاجأة؟

هزَّت رأسها وعلامات الانبهار ترتسم على وجهها وهي تردد:

– حقيقي لا أكاد أصدق.. غير معقول.. إنك لم تذكر لي أنكم بدأتم البناء.. ياه!.. لا أعرف كيف أشكرك.. هذا كثير جدًا.. بجد.. ربنا يخلِّيك ليَّ.

ابتسم وقال لها:

– سنحتفل الليلة بالمناسبة.. سنتعشى معا عشاءً خاصًا.. مفاجأة أيضًا.

– ما كل هذه المفاجآت!.. لن أستطيع احتمالها..

– سأمر عليكِ في التاسعة مساء.. كوني مستعدة.

fb/mashro3pdf

في المساء، مر عليها وتوجه بها إلى النيل. كان قد حجز مركبًا ورتب عشاء فاخرًا لهما. ستبحر المركب بهما وحدهما وسط النيل، مركب متوسط الحجم مع طاقم القيادة والخدمة، ويحتوي على قمرة صغيرة في منتصف المركب. طلب أن يرتب الطاقم للعشاء على سطح المركب في الهواء الطلق. كان الجو صيفيًا منعشًا. أبحرت المركب من أمام فندق شيراتون القاهرة ولم تعد قبل الثانية صباحًا، أوصلها إلى البيت فتعلقت به ورجته أن يصعد معها. لم يستطع المقاومة فصاحبها إلى شقتها. كانا مخمورين من كثرة الشراب، راحا معًا في عالمهما الحالم في فورة من فورات الشبق الهادر المكتسح لم يفيقا منها إلا مع مطلع الفجر.

16

بدأ سيف في العمل في مشروع مدينة 6 أكتوبر للإسكان الفاخر، سلَّمه خالد إلى مدير المشروعات، وطلب منه أن يقوم بتوصية مدير المشروع على الاهتمام بتدريب سيف في مختلف مراحل المشروع بجدية شديدة، أمره أن تكون معاملته مثل زملائه من المهندسين العاملين بالمشروع دون أي امتيازات. قال له إنه سيستمر في العمل في المشروع حتى نهايته ليكتسب الخبرة كاملة.

fb/mashro3pdf

كانت مشروعات الشركة في توسع مستمر، بدأت إعلانات التسويق تملأ صفحات الجرائد وتسابق العملاء على حجز الوحدات السكنية. العمل بالشركة يمور بالنشاط كخلية النحل. يقضي خالد النهار في تسيير أمور الشركة والتخطيط لتوسعاتها التي لا يشبع منها، وفي المساء يمر على ليلى لقضاء السهرة معها. يمر على البيت لتناول طعامه ولأخذ قسط بسيط من الراحة قبل أن يغادره للذهاب إلى ليلى بحجة مواعيده المتعددة ولقاءاته مع رجال الأعمال. بين هذا وذاك يقوم بمهامه في الحزب من متابعة الاجتماعات ووضع الترتيبات لانتخابات العام القادم المهمة مع قيادات الحزب.

مر الصيف في نشاط محموم استطاع خالد أن يقطعه برحلة مع الأسرة في إجازة بباريس، كما طلبت وألحت هبة. رتب خالد لأن تكون الإجازة في نفس توقيت إجازة ليلى مع ابنها عمرو الذي جاء من بيروت لقضاء إجازة مع أمه، حجز لهما خالد في الغردقة، وسافر هو مع العائلة لمدة أسبوع إلى باريس، عاد بعدها مع سيف بحجة العمل وترك هدى وهبة بباريس لإكمال إجازتهما.

توقف عن زيارة ليلى بالبيت طيلة فترة وجود عمرو. طلبت منه ذلك نظرًا لحرج الظروف. تفهمَّ الموقف وأصبح يرتب للقاءاتهما خارج البيت. استأجر فيلا بالمعادي لهذا الغرض، واحتفظ بها بعد ذلك للقاء ليلى في بعض الأحيان بدلا من اللقاء ببيتها يوميًا حتى

fb/mashro3pdf

لا يجذب الانتباه، وذلك لحين انتهاء الفيلا التي يبنيها لها في التجمع الخامس لتكون مكانًا أكثر خصوصية وأمانًا للقاء.

17

بعد أن أرسى أسس التوسع في الاستثمار العقاري بالنجاح في توفير مساحات شاسعة من الأراضي وبداية أعمال الإنشاءات والتسويق لها، بدأ خالد في الالتفات للاستثمار في المجال السياحي الذي طالما حلم به. مجال جديد يؤمن أنه المستقبل الأوفر حظا في السنوات القادمة. وضع خطة لاقتناص أحد خبراء السياحة من السوق، وتعيينه بالشركة بمرتب لا يستطيع رفضه، مع العديد من المزايا الأخرى التي تشجعه على ترك عمله والالتحاق بالعمل معه لوضع أسس النشاط السياحي بالشركة. نجح في اقتناص الخبير السياحي صالح الدمرداش من إحدى كبريات الشركات السياحية، وتعاقد معه بامتيازات خيالية لا تقاوم. كانت هذه هي البداية. طلب منه إعداد دراسة بمقترحاته لبداية النشاط بكفاءة. قدم له بعد أسابيع قليلة دراسة مفصلة، واقترح فيها تأسيس شركة منفصلة للنشاط السياحي للعمل في مختلف الأنشطة السياحية التي تشمل إقامة الفنادق والقرى السياحية، إلى جانب تأسيس إدارات لجلب

fb/mashro3pdf

المجموعات السياحية وترتيب رحلات الحج والعمرة.

في أثناء متابعة دراسات الجدوى وتدبير التمويل اللازم، اقترح أحد أصدقاء خالد من رجال الأعمال في الحزب، بعد أن عرف أن خالد يتجه لمجال الاستثمار السياحي، أن يقوم بتقديم أحد معارفه ممن يمتلكون شركة للسياحة إليه للتعارف، قال له. إن شركته ليست من الشركات الكبيرة في السوق، لكنه ناجح في عمله إلى حد كبير. نصح خالد بأن يقابله ويتفاوض معه، فقد يكون من المفيد التعاون بينهما في تكوين كيان يستفيد من إمكانات خالد المادية الكبيرة، وخبرة الآخر السياحية المتميزة، بدلا من المجازفة في البداية بلا سابق خبرة في المجال. وافق خالد على ترتيب موعد بمكتبه خلال الأسبوع، تعهد الرجل بإجراء الاتصالات لترتيب الموعد وإبلاغ خالد.

تم فعلا ترتيب الموعد بعدها بأيام. جاء الأستاذ شريف يوسف صاحب شركة الواحة للسياحة إلى مكتب خالد الذي استقبله في حضور صالح الدمرداش، الخبير السياحي الذي اتضح سابق معرفته به، تساءل خالد:

– هل تعرفان بعضكما بعضًا؟

أجابه صالح:

– طبعا، نحن نعمل في نفس المجال.

fb/mashro3pdf

أردف شريف يوسف:

– والأستاذ صالح الدمرداش نجم لامع في مجال السياحة.

بعد المجاملات المبدئية وشرب القهوة دخلوا في الموضوع، عرض شريف نبذة عن شركة الواحة ونشاطها وخططها المستقبلية للتوسع. استمعا إليه باهتمام ثم التقط خالد طرف الخيط فأوضح له رؤيته الخاصة، ورغبته في تأسيس شركة جديدة للنشاط السياحي برأسمال ضخم حتى تستطيع أن تبدأ بقوة في السوق.

تساءل شريف يوسف بعد أن انتهى خالد من عرضه:

– ترى كيف تقترحون التعاون بيننا؟

تصدى خالد للإجابة قائلا:

– يمكن أن نؤسس شركة جديدة بيننا إذا توصلنا إلى اتفاق مناسب.

فكر شريف يوسف قليلا ثم قال:

– بكل سرور، لكن هذا يحتاج للتفاوض حول التفاصيل.

قال خالد:

– يمكن التفكير في البداية بتحديد رأسمال الشركة بعشرة ملايين جنيه، قابلة للزيادة في المستقبل مع التوسعات.

fb/mashro3pdf

قال شريف:

– لكن لا داعي لكل هذا المبلغ الكبير كرأسمال.

فكر خالد برهة ثم تساءل:

– ما المبلغ الذي تستطيع أن تدخل به أنت؟

– ليس هناك رقم في ذهني.. لكن لا توجد ضرورة لتسمية راسمال كبير منذ البداية.

هز خالد رأسه ثم قال:

– عموما ستكون لنا الأغلبية في أسهم الشركة، أنت تعرف نحن كيان اقتصادي كبير، ولا بد أن تكون لنا الكلمة في سياسة الشركة وإدارتها.

قال شريف:

– خالد بك، نحن نعمل في السوق منذ ما يزيد على السنوات العشر ولنا خبرة لا بأس بها.

رد عليه خالد على الفور:

– وأنا وفرت الخبرة، أنسيت أن الأستاذ صالح الدمرداش معنا؟

– لا طبعا، الأستاذ صالح مقامه محفوظ.

fb/mashro3pdf

– ماذا تستطيع أنت أن تدفع؟

– فلنتفق أولا على النِّسب.

قال خالد بحزم:

– ثمانون بالمائة من الأسهم لنا وعشرون بالمائة لك.

تغيَّر وجه شريف يوسف وتململ في مقعده فأردف خالد:

– يا أستاذ شريف، شراكتك مع شركة بحجم شركتنا ستعود عليك بفوائد كبيرة.. أنت الآن تعمل في حجم عمل سيتضاعف أضعافًا عندما ندخل نحن بإمكاناتنا، ما حجم عملك السنوي؟

بان الضيق على وجه شريف ثم أجابه:

– المسألة ليست أموالا فقط يا خالد بك، أنا أحب أن تكون الشراكة متوازنة في العمل المشترك.

قاطعه خالد بحدة:

– وهل الإمكانات بيننا متوازنة؟.. هذا عمل يا أستاذ شريف، ولا مجال فيه للعواطف كما تعرف.

انتفض شريف واقفًا بعصبية وقال وهو يهمُّ بالانصراف:

– أعتقد أننا من الصعب أن نتفاهم، فرصة سعيدة، عن إذنك.

استدار وغادر الغرفة دون أن ينتظر ردًا.

fb/mashro3pdf

18

اتصل خالد بليلى وأبلغها بمروره عليها في المساء لأمر مهم، تعودت على مفاجآته ويئست من الإلحاح عليه ليفصح عنها رحمة لها من الترقب والقلق. استسلمت للانتظار حتى يأتي المساء وتعرف ما يدخره لها من أخبار ومفاجآت، يكفيها أنها دائمة مفاجآت مفرحة. أعطت تعليماتها بتجهيز عشاء ودخلت لنوم القيلولة استعدادا لاستقباله، فالسهرة عادة تستمر حتى مطلع الفجر.

جاء إليها في المساء وجلسا يتبادلان الحديث دون أن يفصح. نفد صبرها فسألته بعد أن كانت تنوي التظاهر بعدم المبالاة:

– لم تقل لي ما المفاجأة؟

– أعطني جواز سفرك أولا.

– لماذا؟

– هذه هي المفاجأة.

– لا أفهم.. هل لا بد أن تُصَعِّبَ الأمور؟

– عندي رحلة عمل وستسافرين معي.

– إلى أين؟

fb/mashro3pdf

– ستعرفين عندما ترين التأشيرات.

– يوه يا خالد!.. يعني لازم تحيَّرني.

قهقه عاليًا وقال لها بعد أن نفد صبرها:

– إلى ألمانيا وبعدها إلى لندن.

هتفت فرحة وقفزت لتستقر في حضنه:

– حقيقي! ربنا يخلِّيك ليَّ.. مفاجآتك دائما جميلة.

نهضت بهمَّة وأحضرت جواز سفرها لتعطيه له. أمضت الليلة مبتهجة ومتحمسة، ستسافر معه هذه المرة دون التزامات تشغلها عنه، نهضا للعشاء وأمضيا السهرة معا حتى ساعة متأخرة من الليل كالعادة، عاد إلى بيته ليجد هدى مستيقظة، دخل إلى الفراش في صمت وهي ترمقه بطرف عينها وتتشمَّم رائحة العطر التي تفوح منه، وقد راح في النوم على الفور من فرط الإجهاد. ترقرقت الدموع في عينيها واستدارت تبكي في صمت وصوت شخيره يتردد في إيقاع رتيب. حقًا، لطالما أحست بشكوك تجاهه خلال علاقتهما الزوجية، كانت تتغاضى دائما واثقة بأنها هفوات عابرة، إلا أنها طالت واستمرت في هذه المرة. تنهَّدت بأسى وهي تمسح دموعها.

fb/mashro3pdf

19

تم تأسيس شركة السياحة دون غرباء كشركة عائلية مغلقة تابعة للمجموعة. لم تتوقف اتصالات خالد لتوفير المزيد من الأراضي لنشاط الاستثمار العقاري، والآن للنشاط السياحي. تكللت مجهوداته بالتوفيق باستلام قطعة أرض مساحة خمسمائة فدان بالقاهرة الجديدة. قرر أن تتبع الأرض شركة السياحة لإقامة فندق فاخر عليها نظرًا لموقعها المتميز على الطريق الرئيسي.

استدعى خالد المدير الإداري للشركة ومدير العلاقات العامة لاجتماع شرح لهما فيه رغبته في إنشاء إدارة للأمن بالشركة مع التوسعات المتتالية لها، وإدارتها للعديد من المواقع المتناثرة. طلب أن توكل إدارة الأمن إلى أحد ضباط الشرطة المتقاعدين، على أن يكون معروفًا عنه الكفاءة الأمنية والمهنية. تعهد مدير العلاقات العامة بإجراء اتصالاته الشخصية للوصول إلى الشخص المناسب بعد أن رفض خالد اقتراحًا للمدير الإداري بعمل إعلان في الجريدة، قال له مثل هذه المناصب لا تصلح لها إعلانات الجرائد التي قد يتم اللجوء إليها فيما بعد عند طلب رجال وحراس أمن للإدارة بعد الاستقرار على المدير.

قبل انقضاء الأسبوع كان مدير العلاقات العامة قد نجح في

fb/mashro3pdf

إيجاد أحد ضباط الشرطة المتقاعدين حديثًا، وبعد الاستعلام عنه عن طريق خالد شخصيًا باتصالاته في الوزارة والحزب، جاءت التقارير والأخبار مطمئنة جدًا من أشخاص يثق فيهم خالد لعلاقته الوطيدة بهم.

وهكذا تم تعيين عقيد الشرطة المتقاعد مختار العسكري مديرًا لإدارة الأمن لمجموعة الشركات، على أن يتبع خالد مباشرة هو وإدارة الأمن.

قال له خالد:

– ستقدم تقاريرك لي مباشرة، وسيكون كل ما يخص إدارة الأمن وما أوكله لك من مهام محصورًا بيننا فقط، لا أريد أن أكرر هذا الكلام مرة أخرى، مفهوم.

ابتسم العقيد مختار وقال له بصوت خفيض:

– مفهوم طبعًا يا افندم، أنا رجل أمن وأفهم هذا الكلام تمامًا.

– عموما سنرى.. أرجو ألا تُخَيِّبَ ظني.

– اطمئن سيادتك، أساس عملنا السرية والثقة.

– عظيم.. سأطلب تجهيز غرفة لك، وتستطيع أن تبدأ معنا منذ بداية الأسبوع.

fb/mashro3pdf

– هل يمكن أن آخذ فكرة عن مشروعات الشركة ومواقعها حتى أستطيع أن أضع تصورًا للخطة الأمنية.

– سأطلب من الإدارة أن تعطيك المعلومات التي تريدها.

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الفصل الثالث

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

1

وقف طلعت السائق ينتظر نزول خالد ليقلّه إلى المطار. كان الاتفاق مع ليلى أن يلقاها في المطار. نزل خالد والإرهاق بادٍ على وجهه واستقل السيارة. بذل مجهودًا كبيرًا قبل السفر في كلٍ من الشركة والحزب حتى يطمئن على كل صغيرة وكبيرة. الأعمال توسعت والمهام زادت في الحزب مع ارتقائه لأعلى المراتب فيه. نجمه يصعد باطراد ولا يوجد ما يعترض طريقه. مستعد لتقديم الخدمات للجميع، وإمكاناته تؤهله لأن يكون محطًا للأنظار ومكسبًا يضيف إلى رصيد الحزب كأحد أكبر وأهم رجال الأعمال في البلد.

انطلقت السيارة في طريقها إلى المطار وسط شوارع القاهرة الهادئة في الصباح الباكر، فتح خالد شباك السيارة لتدخل نسمة من هواء الصباح المنعش إليه، أخذ شهيقًا عميقًا وهو يتأمل الطريق الخالي فوق كوبرى 6 أكتوبر.. ليت القاهرة تبقى كذلك بقية النهار..

fb/mashro3pdf

اللعنة على الازدحام.. ها هي فرصة للهروب من ضجيج القاهرة ومشاكل العمل والحزب.. لقد كنت أحتاج فعلا للتغيير.. الحمد لله أن الرحلة ليست مشحونة بالعمل هذه المرة.. هي فرصة لقضاء إجازة مع ليلى.. العام الماضي كان عامًا عصيبًا.. لكنه كان مهمًا جدا في تطور الشركة وتوسعها.. الحمد لله.. لكم تمنيت أن أنطلق بالشركة إلى أرحب الآفاق.. وكان أبي يقاومني.. عليه رحمة الله.. فرق الأجيال.. كان متحفظًا ولا يريد أي مغامرة.. حتى لو كانت محسوبة.. لكنني الآن مُطلَق اليدين في النهوض بالشركة وتطويرها.. وها نحن أصبحنا من أكبر الكيانات الاقتصادية.. حقًا لقد ساعدنا قوة مركزنا المالي على الانطلاق.. وهو بفضل الوالد لا شك في ذلك.. مع ذلك كان لا بد من الجرأة والإقدام.. وما زال الطريق أمامنا مفتوحًا بإذن الله.. سنبدأ في التحرك في البلاد العربية لأخذ مشاريع بها، وتوسيع نشاط الشركة لتصبح شركة إقليمية لها نشاط في كل البلاد العربية.. المفاوضات كادت أن تنتهي بخصوص مشروعي السعودية والإمارات.. إذا سارت الأمور على ما يرام فسوف أسافر الشهر القادم لتوقيع العقود والترتيب لبدء العمل.. لا أدري كيف سأجد الوقت لكل هذا.. الحزب أيضًا زادت مشاغله منذ الإعلان عن التغييرات الدستورية واستعدادًا لانتخابات مجلس الشعب والرئاسة.. يستهلك وقتًا طويلا مني.. لا بأس.. فهذا موضوع مهم يمهد كثيرًا من الطرق ويفتح أبوابًا

fb/mashro3pdf

كثيرة.. أحتاج لأحد أثق فيه ليساعدني في تسيير الأعمال.. لو كان ناجي يلين ويقبل العمل.. دماغه ناشفة وأفكاره مثالية.. يعيش في زمن آخر.. وصلت السيارة إلى المطار فنزل خالد وأخذ حقيبته من طلعت، ودَّعه وقال له إنه سيتصل بالشركة كالعادة إذا أراده أن ينتظره بالمطار عند عودته. دخل إلى صالة المغادرة ليجد ليلى في انتظاره، توجها إلى الموظف المختص بركاب الدرجة الأولى وسلما حقائبهما ثم استلما تذاكر الصعود، توجَّها إلى الجوازات بعد ذلك، ثم أسرعا الخطى إلى باب الخروج حيث بدأ النداء على ركاب الطائرة.

2

جلسا في مقاعد الدرجة الأولى وهو ممسك بكفها، قالت له بعد أن أقلعت الطائرة وهما يتناولان مشروبيهما:

– تعرف يا خالد.. أنا نفسي أكون معك على طول.

ربت على كفها مبتسمًا وقال لها:

– سأحاول أن نقضي أطول وقت معًا.. لنفكر الآن في هذه الرحلة.

fb/mashro3pdf

أطرقت صامتة كمن يستسلم راضخًا للأمر الواقع. بدت مسحة من الحزن للحظة خاطفة على ملامحها نجحت في إخفائها. استغرقا بعدها في تناول الطعام ثم التهيا بالشراء من بضائع السوق الحرة بالطائرة، تخيَّرت ليلى زجاجة بارفان واختار لها إشارب حريريًا فاخرًا.

هبطت الطائرة في مطار فرانكفورت، وأنهيا إجراءات الجوازات ثم تسلما الحقائب، استقلا سيارة تاكسي إلى فندق هيلتون فرانكفورت، حيث أتما إجراءات الدخول وصعدا إلى السويت الفاخر الذي اختاره خالد، قال لها وهو يحتضنها:

– سنستريح من الرحلة ثم ننزل للعشاء في المساء.

3

أمضيا ثلاثة أيام في فرانكفورت، يتركها خالد في الصباح نائمة بعد سهرة طويلة ويغادر الفندق للقاءات العمل، يعود بعدها في منتصف النهار ليصحبها في جولة بالمدينة للنزهة والتسوق، يتناولان طعامهما الخفيف في وسط الجولة ويعودان إلى الفندق لراحة قصيرة قبل أن يتوجها للعشاء في أحد المطاعم الفاخرة التي يرشحها لهما موظف الاستقبال في الفندق، أو التي يكون خالد قد

fb/mashro3pdf

علم بها من لقاءات العمل الصباحية. اعتذر خالد عن كل دعوات العمل للاحتفاء به حتى يتفرغ تمامًا لليلى. يختتمان يومهما بسهرة حميمة في السويت تحلق بهما في أعلى آفاق النشوة والارتواء.

بعد انتهاء أعماله في فرانكفورت سافرا إلى دوسلدورف لإكمال أعماله، وأقاما بفندق إنتركونتيننتال لمدة يومين. تمنت ليلى أن يطيلا الإقامة بها لكنه كان مرتبطًا بمواعيد عمل في مدينة هامبورج. انتقلا إلى هامبورج التي مكثا بها فترة أطول سافرا بعدها إلى لندن. لم يكن خالد مشغولا بلندن، فقد خطط لأن تكون فترة الإقامة بلندن للاستجمام. كان يريد فقط زيارة البنك الذي يتعامل معه في لندن لإجراء بعض المعاملات المصرفية، وعمل بعض التحويلات لتسوية حسابات مهمة مستحقة تخص العمل والمجاملات الضرورية لحسن سير الأعمال وتسهيل انطلاقها وتقدمها.

4

نزلا في لندن بفندق ريتز في البيكاديللي، دي لوكس سويت فاخرة، سيقيمان في لندن لبضعة أيام كإجازة للاستجمام والتسوق. قالت له ليلى بعد وصولهما:

– أشعر أنني في حلم، ولا أريد أن أستيقظ منه.

fb/mashro3pdf

ربت عليها واحتضنها وهو يقول:

– سأجعل كل حياتك أحلامًا، أنت لا تعلمين مكانتك عندي.

تمتمت متسائلة:

– صحيح!

– وهل عندك شك؟

دفست رأسها في صدره وتنهَّدت تنهدة عميقة. رفع رأسها بكفه وقبَّلها، قال لها:

– ما رأيك في النزول للتسوق الآن؟

أومأت برأسها موافقة ثم قالت له:

– سأستبدل ملابسي ثم ننزل.

نزلا للتسوق وتجوَّلا في شوارع لندن، أخذها إلى أفخم محلات الأزياء، واختار لها العديد من أطقم الملابس، انهمكت في قياسها بحماسة واختارت ما ناسبها، عادا إلى الفندق مُحَمَّلَين بمشترواتهما، أخذا قيلولة للراحة استعدادا للخروج في المساء للعشاء. تنبَّها من نومهما والساعة تقترب من الثامنة مساء، تكاسلا في الفراش لبعض الوقت، قال لها:

– ما رأيك، نتعشى في السويت الليلة، التعب بدأ يحل عليَّ بعد رحلة ألمانيا؟

fb/mashro3pdf

– وأنا أيضا أشعر بالكسل، لنطلب العشاء هنا.

نهض للاستحمام ثم اتصل بخدمة الغرف ليطلب العشاء.

..

5

قبَّلها وهي نصف نائمة في الفراش، وغادر إلى البنك لإنجاز مهامه كما أخبرها ليلة الأمس. قال لها إنه سيتركها في الصباح للذهاب إلى البنك وسيعود بعد الظهر. تكاسلت في الفراش ثم نهضت إلى الحمام. أنهت استحمامها وطلبت الإفطار من خدمة الغرف. فتحت نافذة الغرفة لتجديد هواء الغرفة فوجدت الجو صحوًا ومنعشًا، أخذت شهيقًا عميقًا وملأت صدرها بالهواء النقي ثم أغلقت النافذة. جاء الإفطار بعد قليل فصبت الشاي وجلست تتناول إفطارها بهدوء.. أطلقت تنهدة عميقة.. ما أقصى الوحدة.. لقد سئمت حياة الوحدة.. خالد الآن كل حياتي.. لكني لا أجده دائما إلى جانبي.. حياته مع أسرته ولا يجيء إليَّ إلا في وقت فراغه.. ماذا أفعل؟.. إنني في أشد الحاجة إليه.. إلى رجل.. ليته كان لي!.. ترى هل يحبني فعلا؟.. أم أنها نزوة عابرة.. لكنه يهتم بي بشكل خاص.. يبني لي الفيلا.. ودون أن أطلب منه.. لا يتأخر عني في طلب.. لكن!.. كل هذه

fb/mashro3pdf

الأمور مسائل مادية.. وهو متيسر الحال جدا ولا تهمه المادة.. لكن ليس إلى هذا الحد.. هل يمكن أن نرتبط يوما ما؟.. أن نتزوج!.. وماذا عن زوجته وأولاده؟.. وماذا فيها؟.. الشرع يسمح بذلك.. إذا كان غير سعيد مع زوجته فلماذا لا يتزوجني؟.. لكن الأولاد!.. وهل يجد حرجًا منهم؟.. لكنهم قد كبروا الآن.. الولد تخرج من الجامعة وأخته ستتخرج العام القادم.. أستطيع أن أنتظر حتى تتخرج البنت.. ستتزوج بعد ذلك وتكون لها حياتها.. لماذا لا يعيش هو حياته كما يحب؟.. طالما هو غير موفق مع زوجته.. ومن أدراكِ أنه غير موفق؟.. وكيف يكون موفقًا وهو يبحث عن حياة أخرى معي؟.. أستطيع أن أشعر كامرأة.. إنني أشعر به وهو معي.. يكون معي بكل مشاعره وكيانه.. لو كان حرا لما تركني.. عندما يغادر في الفجر يكون مهمومًا.. كأنه يريد أن يبقى معي أنا.. وما الذي يجبره على هذا؟.. يستطيع بنقوده أن يشتري أي واحدة.. أن يكون كل يوم مع واحدة مختلفة.. لكني متأكدة أنه لا يعرف غيري.. لا أستطيع أن أكذب نفسي.. أنا أشعر به تمامًا.. لا.. هو يحبني.. ياه!.. ما كل هذه الحيرة.. ليتنا نتزوج.. نحيا معًا.. يا له من حلم! لا أجرؤ أن أفاتحه.. لكن هذا من حقي.. لو كان يحبني حقا فيجب أن يشعر بي.. أن يستمع.. يا ربي.. لا أدري ماذا أفعل؟.. كلما حاولت أن ألَمِّح بالحديث أشعر أنه يتجاهل.. يُغَيِّر الموضوع.. كمن لا يريد أن يتكلم.. ترى هل هذا صحيح؟.. أم أنني حساسة أكثر

fb/mashro3pdf

من اللازم ويتهيأ لي ذلك.. لا أدري!.. هل أتحدث معه صراحة في مشاعري تجاهه؟.. وهل هو لا يحس؟.. لكن لا بد أن يفهم.. أنني امرأة.. بني آدمة.. طالما يجد كل شيء بسهولة وفي متناول يديه فلماذا يجهد فكره.. من الضروري أن يفكر فيَّ.. أن يشعر بمعاناتي.. لا يجب أن يجدني سهلة أمامه وفي متناول يديه دائمًا.. لكنني أخاف أن أغضبه.. قد يتركني.. طالما سأبقى ضعيفة هكذا فلن يتغير في الأمر شيء.. يا ربي.. ساعدني.. أعطني القوة.. لا أستطيع أن أقف موقفًا قويًا.. كما لا أستطيع احتمال هذا الوضع.. إنني أريده.. أريده كله لي.. أن يكون رجلي.. أنا فقط.. لم أعد أحتمل أن يشاركني فيه أحد.. رن جرس التليفون في الغرفة فنهضت لترد وقد بدت على وجهها علامات الدهشة.. من سيكلمني هنا؟.. رفعت السماعة فوجدت صوت خالد.. انفرجت أساريرها.. أنت!.. قلت ترى من سيكلمني هنا.. لم يرد في ذهني أن تكون أنت.. هل أنهيت مصالحك؟.. لقد أنهيت الإفطار لتوي.. متى ستجيء؟.. طيب.. سأنتظرك.. باي.. عادت إلى مقعدها وصبت فنجان شاي آخر ثم جلست ساهمة مهمومة..

fb/mashro3pdf

6

وتمضي الأيام.. نهارات وليالٍ تتتابع لتطوي أسفار حيواتنا بحلوها ومرها.. أسبوعان مرا كطرفة عين في حياة ليلى وخالد. ابتعدا فيهما عن الواقع المعتاد الرتيب إلى واقع عابر تساميا فيه متجاوزين استبداد الكوابح والقيود إلى فضاءات التحرر والانعتاق. تخفَّفا من أعبائهما الاجتماعية في القاهرة، وانطلقا في رحلة الهروب والنسيان، ولو إلى حين. انتهت الرحلة أخيرًا كما هو الناموس المحتوم لكل الحكايا والموجودات ودلفت إلى خزائن الذكريات والحنين.

عادا إلى القاهرة لينغمس خالد في دوَّامات العمل واجتماعات الحزب للتحضير لانتخابات الرئاسة وبعدها انتخابات مجلس الشعب، إرهاق امتد على مدار العام تقريبًا. لحسن الحظ، كانت ليلى قد تعاقدت على عمل للتليفزيون ليُقدَّم في شهر رمضان، ساعد ذلك على إلهائها عن معاناتها ووحدتها في ظل ظروف انشغالات خالد العملية والسياسية. كان خالد يخطف الوقت ليراها بين أوقات التصوير الممتدة وندرة وقته المتاح، ضريبة حتمية لكل ذي طموح كاسح لا بد أن يدفعها صاغرًا من وقته ومن جهده. جاء عمرو في فترة الصيف لزيارة أمه كالمعتاد، كانت تتركه معظم الوقت لأمها

fb/mashro3pdf

وأختها، عبء أضيف لأعبائها، وإن كان مُحَببًا إلى قلبها بطبيعة الحال، لكنه أسهم هو الآخر في إلهائها إلى حين.

كانت أعمال خالد تتقدم وتتسع على الدوام، نجح في اختيار العناصر المؤهلة لإدارة الشركات التي يمتلكها بمهارة وأجزل لها العطاء. أصبحت الشركات مستقلة بإداراتها بحيث لا تحتاج من خالد إلا توجيهاته العامة ووضع سياساتها التي تنفذها الإدارة باقتدار، ثم تقدم تقاريرها إليه، كان في الحقيقة موهوبًا في فنون الإدارة مما ساعد على دفع كياناته الاقتصادية للتقدم من نجاح إلى نجاح.

7

قارب العام على نهايته، وانتهت الانتخابات النيابية بمفاجأة حصول الإخوان المسلمين على عدد غير متوقع من المقاعد. مفاجأة غير مواتية في صفوف الحزب سببت إرباكًا كبيرًا. انتهت طبعًا الانتخابات الرئاسية بفوز الرئيس حسني مبارك كالمتوقع. بدأت الأنفاس تهدأ والحركة تعود إلى إيقاعاتها المعتادة، لكن الحراك الشعبي كان قد بدأ وتنامى، ثم تواصل دون توقف في شكل مسيرات ووقفات احتجاجية.

fb/mashro3pdf

بدأ خالد في تنظيم أعماله بعد فترة الانشغال الطويل. أبلغه المهندس المختص بانتهاء فيلا التجمع الخامس. حدد له موعدًا للمرور على الفيلا لمعاينتها قبل إبلاغ ليلى بالخبر. مر على الفيلا وتفقد الأعمال والتشطيبات، كانت له بعض الملاحظات البسيطة التي طلبها من المهندس الذي تعهد بالانتهاء منها خلال أسبوعين.

اتصل بليلى بعد أسبوعين وعندما عرف أنها بالبيت وليست مرتبطة بارتباطات عمل، طلب منها الاستعداد، قال لها إنه سيمر عليها بعد ساعتين ليصحبها معه إلى مشوار مهم، حاولت كالعادة أن تستفسر منه عن الأمر، لكنه لم يفصح، أصر على أن يفاجئها، تعرف عناده في الحالات المشابهة من خبرتها معه، لذلك استسلمت سريعًا ولم تواصل الإلحاح.

مر عليها بسيارته دون سائقه، كعادته دائمًا حين يتعلق الأمر بليلى، ركبت إلى جواره وتحرك بالسيارة، عندما شارف الوصول إلى الطريق الدائري ابتسمت وقالت له.. الآن أستطيع أن أخمن أن المفاجأة تتعلق بالفيلا.. لا بد أنك تريد أن تريني شيئًا بها.. لم تبدُ على وجهه أي استجابة.. كأنه لم يسمع شيئًا.. زاد اقترابه من الفيلا فقالت بزهو.. ألم أقل لك؟.. هل قاربتم على الانتهاء من الفيلا؟.. لم نذهب منذ شهور.. طيِّب.. هل تريد أن تأخذ رأيي في التشطيبات النهائية؟.... يا أخي انطق.. ارتسمت ابتسامة خافتة

fb/mashro3pdf

على وجهه وقال لها باقتضاب.. قليل من الصبر.. أنت تعرفين أنني لا يمكن أن أحرق المفاجأة.. زفرت زفرة عميقة وهي تتمتم.. عنيد.. لم أرَ في حياتي من هو أكثر عنادًا منك!..

وصلا إلى الفيلا، فخف الغفير للقائهما مبالغًا في الترحيب بخالد. توجَّها إلى باب الفيلا وأخرج خالد المفتاح من جيبه، فتح الباب ودعاها للدخول ثم أغلق الباب مرة أخرى.. تساءلت.. ألا يوجد عمال؟.. قال لها.. ألقِ نظرة على الفيلا، تحركت بدهشة بين وحدات الدور الأرضي ثم توجهت إلى الدرج الموصل إلى الدور العلوي وهي تتساءل بريبة.. هل انتهى العمل في الفيلا؟.. مرت بغرف الدور العلوى والحمامات الملحقة بغرف النوم ثم أطلقت صيحة فرح عالية وجرت نحوه لترتمي في حضنه وتقبِّله بحماسة.. ياه!.. غير معقول.. لا أستطيع أن أصدق.. لا يمكن كنت أتصور أن الفيلا انتهت.. لقد كنت أعتقد أن أعمال التشطيبات النهائية ستبدأ، وأنك تريد أن تأخذ برأيي.. قاطعها متسائلا:

– ما رأيك في ذوقي في التشطيبات؟

احتضنته متشبثة به وهي تقول بامتنان:

– وهل يمكن أن أفهم أكثر منك؟.. ربنا يخلِّيك ليَّ..

أخذها من يدها مزمعًا المغادرة وهو يقول لها:

fb/mashro3pdf

– شوفي يا ستي.. سأرسل لك مهندس الديكور لتبلغيه طلباتك ليبدأ العمل في التصميمات الداخلية للأثاث والديكور.. سأبلغك بالموعد.

سحبته من يده وهي تقول بفرح:

– تعال لنلقِ نظرة أخرى على الفيلا.. قل لي ما رأيك؟.. ماذا نضع في الاستقبال؟.. وكيف تكون غرفة الطعام؟..

قاطعها قائلا:

– انتظري لتسمعي أفكار مهندس الديكور أولا وبعدها نفكر.

قبَّلته مرة أخرى قبل أن يغادرا الفيلا وهي تكاد تتقافز من الفرحة.

8

طلب مختار العسكري مدير الأمن في الشركة من مدير مكتب خالد لقاءه لأمر مهم، حدد له مدير المكتب موعدًا في اليوم التالي. خصص خالد له لقاء أسبوعيًا بعد تعيينه بالشركة ليقدم له تقاريره الأمنية، وليطمئن منه على الاستقرار الأمني في جميع مواقع الشركة، خلافا للأمور الطارئة بالطبع التي تتطلب لقاءات استثنائية.

fb/mashro3pdf

انتظره خالد في الموعد، وبادره بالسؤال عما دعا لهذا اللقاء المفاجئ، أجابه مختار العسكري بفخر:

– لقد تم التوصل إلى الجناة في حادثة سرقة التشوينات من موقع مدينة الأمل بالسادس من أكتوبر وتم تسليمهم للشرطة.

– وهل تعرفتم على شخصياتهم؟

– بعض المسجلين خطر والمعروفين للبوليس.

– وهل وجدوا المسروقات؟

– أمكن التحفظ على معظم المسروقات قبل التصرف فيها، لقد تمت واقعة الضبط في خلال 48 ساعة، طبعًا بفضل علاقاتي بوزارة الداخلية.

– برافو عليك.. أرجو أن نستفيد من هذه الحادثة ونقوم بمراجعة وتشديد إجراءات الأمن والحراسات.

– سأبدأ على الفور في دراسة الموقف وتحديد المطلوب، الحمد لله أننا تمكنا من تدارك الأمر سريعًا وإنقاذ معظم المسروقات.

– سآمر لك بمكافأة على هذا المجهود، واعرض عليَّ نتائج مراجعاتك للموقف.

– ألف شكر يا افندم دا واجبي... أنا تحت أمرك دائمًا، وإن

fb/mashro3pdf

شاء الله في اجتماعنا الدوري القادم سأعرض عليك تقريرًا مفصلا بالموقف.

نال مختار العسكري ثقة خالد بعد فترة وجيزة من عمله بالشركة، رجل أمن كفء، ويستطيع أن ينجز المهام الموكلة له بدقة وسرعة. كان لا يدع فرصة دون أن يبدي فيها لخالد ولاءه الشديد له شخصيًا، واستعداده لأي خدمات يطلبها، من خلال الاحتكاك، ومع المدة، تبين لخالد أنه مستعد لتنفيذ أي طلب له مهما كان عسيرًا، حتى إذا استدعى الأمر اللجوء إلى التحايل والوسائل الملتوية غير المشروعة.

9

ماذا أفعل يا ربي؟.. لقد فاض الكيل.. لم أعد أحتمل.. هل كُتِبَ عليَّ أن أتحمل كل هذا العذاب؟.. وإلى متى؟.. هذا كثير.. كثير جدا وفوق طاقتي.. يفعل ما يشاء ويتصور أنني لا أشعر بما يجري.. لقد طال الأمر.. لا يراعي مشاعري ويجيء مع مطلع الفجر.. شارب وتفوح منه رائحة الخمر والبارفان.. كأنه يتجاهل وجودي!.. والله لولا الأولاد لتركت له البيت.. ماذا يدعوني لتحمل كل هذا

fb/mashro3pdf

سوى مشاعر الأولاد واستقرار البيت.. هبة ستتخرج هذا العام.. وهي على مشارف الزواج.. أعرف أنها على علاقة بزميل لها في الجامعة.. فاتحتني في الأمر وقالت لي إنهما يفكران في الارتباط بعد التخرج.. ماذا يكون الموقف إذا لم أتحمل كل هذا؟ وهل أنا فقط المسئولة عن هذه الأسرة.. أناني ولا يفكر إلا في نفسه.. نحن خارج اهتماماته تماما.. يجيء البيت كأنه زائر.. كأن البيت لوكاندة.. يأكل لقمة ويستريح قليلا ليواصل المسخرة بعد ذلك حتى الفجر.. الأولاد لا يشعرون بشيء.. كل واحد منهم مشغول في حياته.. وأنا التي تكتوي بنار هذا العذاب.. لقد فقد الشعور.. وكرامتي لا تسمح لي بفتح الموضوع معه.. ما يفعله مهانة لي.. والحديث فيه مهانة أكثر.. أنا متأكدة أنه على علاقة مستقرة بامرأة أخرى.. ليست علاقات عابرة أو مراهقات منتصف العمر.. أنا امرأة وأعرف.. أكاد أبصم بالعَشَرة.. لو كنت أستطيع أن أطلب الطلاق!.. لكن ماذا يكون موقف سيف وهبة.. ألن يؤثر ذلك على مستقبل البنت وهي مقبلة على الارتباط؟ هل معقول أن يتقدم لخطبتها وأمها قد طُلّقَت للتو من أبيها!.. كيف ستكون صدمة البنت؟.. هذه مصيبة.. لا يمكن أن تسامحنا.. يارب ساعدني.. أنا خلاص تعبت.. انفتح باب غرفة النوم لتدخل هبة وترى أمها مختنقة بالبكاء.. شهقت البنت:

— ماما.. خير!.. ماذا جرى؟.. لماذا تبكين؟

fb/mashro3pdf

تفاجأت هدى وكفكفت دموعها باضطراب.. تنهَّدت وأجابتها بارتباك كمن يبحث عن الكلمات:

– لا أبدا يا حبيبتي.. شوية مضايقة بسيطة.. ودمعتين كده.

– لا يا ماما.. شكلك مجهد وعيناك منتفختان.. ماذا حدث؟

– ولا حاجة واللـهِ.. زي ما قلت لك.. شوية مضايقة بسيطة.

– بابا ضايقك في حاجة؟..

– لا يا حبيبتي.. بابا لا دخل له..

– وهل يبكي أحد كل هذا البكاء بدون سبب مهم؟

صمتت هدى لبرهة ثم قالت لها:

– أصلي افتكرت المرحومة أمي..

احتضنتها هبة طويلا وقبَّلتها وهي تقول لها برجاء:

– وحياتك يا ماما.. كفاية كده.. أنت باين عليكِ بكيتِ كتير قوي..

ربتت عليها مُطمَئنة وهي تقول:

– خلاص يا حبيبتي.. لا تقلقي..

– طيِّب إيه رأيك آخدك في لفة بالعربية وبعدها نروح ناخد كافيه في أي حتة.

fb/mashro3pdf

– لا.. مرة تانية.. سآخذ حمَّامًا الآن ونتغدى معا..

– على كيفك يا ستي.. عندنا إيه أكل النهار دا؟..

ابتسمت وقالت لها:

– عندنا أكلة تحبينها.. كوسة بالباشاميل.

– اللـه.. سأغيِّر هدومي وأنتظرك.. لا تتأخري في الحمام.

10

قالت هبة لأبيها وهو يستعد للذهاب إلى المكتب:

– بابـا، ما رأيك نسـافر إلى الأقصر وأسـوان في إجازة نصف السنة؟

فاجأته باقتراحها، تمهَّل لبرهة ثم قال لها:

– الحقيقة أنا مشغول في الفترة القادمة.. ما رأيك تسافرون أنتم.. يمكن أن ألحق بكم آخر يومين ونعود معًا؟

قالت بإصرار:

– بابا، الشغل لا ينتهي، أنا مرهقة وماما أعصابها تعبانة،

fb/mashro3pdf

أرى أن إجازة معنا لبضعة أيام لن تجعل الشغل يتوقف، ثم إننا لا نراك معظم الوقت.

أسقط في يده فسألها:

– متى ستبدأ الإجازة؟

– بعد أسبوعين تقريبًا.

صمت لبرهة ثم قال لها:

– سأحاول أن أرتب نفسي.

– وأنا سأحجز الفنادق، احجز لنا أنت تذاكر الطائرة.

بدا إصرار هبة على طلبها. كما بدا عليه التردد والحيرة.. البنت مسَّت وترًا حساسًا.. إننا لا نراك معظم الوقت.. يجب موازنة الأمور.. أي وقت فراغ متاح يقضيه مع ليلى.. الخوف أن تكون الحكاية مكشوفة.. ليس من الحكمة التملص من أي مشروعات للأسرة دائما.. لا بد من المواءمة..

– سأبلغك بتاريخي السفر والعودة بمجرد أن أتم الحجز.

هز رأسه بالموافقة وهو سارح بفكره.. البعد عن ليلى أصبح يؤرِّقه.. أو فلنقل إنه يفضل قضاء أي وقت متاح له معها.. هذا ما تشي به تصرفاته التلقائية.. يندفع بلا تفكير وينساق لهوى النفس..

fb/mashro3pdf

يتشبَّث بها كتشبث الطفل بلعبته.. معها تجدَّدت حياته وأسكرته النشوة.. في هذه المرحلة من العمر يكون الهوى مستبدًا وعربيدًا.. وهو ينساق معه كريشة في مهب الريح.

11

اتصل مهندس الديكور بليلى تليفونيًا بعد أن كلفه خالد بالمهمة، أحد مهندسي الديكور المرموقين الذين يستعين بهم خالد دائمًا في الأعمال المهمة. اتفقا على اللقاء بمكتب المهندس ثم الذهاب إلى الفيلا للمعاينة. تمت المعاينة وتعددت جلسات العمل حتى تم الاتفاق على الخطوط العريضة لأعمال الديكور والمفروشات بناء على رغبات ليلى، وتوجيهات مهندس الديكور الفنية، قبل البدء في العمل حمل المهندس التصميمات والاقتراحات وذهب بها إلى خالد في المكتب ليطلعه عليها وليأخذ موافقته النهائية بالبدء في العمل. شرح له التفاصيل واستمع إلى بعض ملاحظاته ثم أخذ منه الأمر بالبدء في العمل بعد أن أوصاه بسرعة الانتهاء منه. قال له إنه يريد أن يستلم منه الفيلا جاهزة للسكنى مع مطلع الصيف.

كانت ليلى شديدة الانفعال بالحدث الجديد.. لكأنه حلم.. الفيلا

fb/mashro3pdf

تُبنى وتنتهي... وها هي تتابع أعمال الديكور والفرش... ذلك الحلم الذي كان بعيد المنال عندما حجزت الأرض وسددت ثمنها... كان همًا ثقيلا يجثم على صدرها.. أعباء مالية لا طاقة لها بها في ذلك الوقت.. تكاليف المباني والتشطيبات ثم الفرش.. ناهيك عن مشاكل التنفيذ والعمال.. كل ذلك العبء أزيح عن كاهلها بفضل وجود خالد في حياتها.. لم تتكلف شيئًا.. لم تتكبد مشقة.. كل شيء يُقدَّم لها على طبق من فضة.. وهي كالأميرة.. معززة مكرمة.. تأمر فتُطاع.. تطلب فتُلبى طلباتها.. آه لو.. وآه من قسوة لو.. كما قال حكيمنا العظيم صلاح عبد الصبور.. هذه هي بؤرة الألم الآن في حياتها.. لو كان لها وحدها.. رجلها.. وهي امرأته..

12

جرت أعمال الديكور على قدم وساق في الفيلا. عندما أوشكت على الانتهاء بدأت مرحلة اختيار الأثاث. كان لا بد من مشاركة ليلى صاحبة الشأن لمهندس الديكور في المرور على محلات الأثاث الفاخرة، واختيار ما يناسب ذوقها في ضوء اعتماد مهندس الديكور لاختياراتها بما يتناسب مع تصوره الفني. أرادت ليلى مشاركة خالد لها في هذه المهمة.. أليس ذلك مشروعهما المشترك، وهو

fb/mashro3pdf

رمز لاشتراكهما في بناء بيت واحد.. أو فلنقل عش واحد.. أو هكذا تتمنى في سريرة نفسها.. كان خالد يقاوم إلحاحها.. تزايدت مشاغله بشكل شديد في تلك الفترة، ما بين أعماله المتنامية ومشاغل الحزب التي زادت في ضوء مشكلة غرق العبارة السلام، وكارثة غرق أكثر من ألف شخص عليها، وما تبع ذلك من هجوم للصحافة على رجال الأعمال وتلميحاتها المستمرة إلى تزاوج الثروة والسلطة. كلام حرج حساس لرجال الثروة والحزب، تستتبع ذلك بالطبع مواجهة تلك الأقاويل والاتهامات المُغلَّفَة بجلسات العمل المكثفة والاتصالات الدائمة لإعطاء التوجيهات لرجال الصحافة المتعاونين، حتى يستطيعوا تسخير أقلامهم للدفاع ومواجهة هجوم المعارضة والصحافة المستقلة، ضرورات سياسية في كل زمان ومكان، لا يملك رجال السياسة الفكاك منها، أو فلنقل هي ضريبة العمل العام في الدول النامية. استطاع خالد في كثير من الأحيان أن يتنصل من طلباتها، وكان يضطر في بعض الأحيان إلى مجاملتها بمشاركتها في بعض مرات الاختيار المهمة، كغرفة النوم التي أصرت على مشاركته لها، وكادت تثور عليه ثورة عارمة عندما حاول التملص. انتهت مهمة تأثيث الفيلا بسلام مع مطلع فصل الصيف، وبدأت ليلى ترتب لحفل كبير تدعو إليه أصدقاءها ومعارفها للاحتفال بانتقالها للإقامة فيها.

fb/mashro3pdf

13

مر خالد على ليلى في المساء بعد أن أنهى لقاء عمل مع أحد رجال الأعمال. فتحت له شغالتها الآسيوية وقادته إلى غرفة الاستقبال، لم تكن ليلى بمفردها، نهضت للقائه وهي تقول مبتهجة:

– أهلا خالد، تعالَ لأعرِّفك على سالي صاحبتي.

صافحها خالد مرحِّبًا وهو يتساءل:

– وكيف لم نرها من قبل؟

تصدت ليلى للإجابة قائلة:

– سالي كانت تعيش في الإمارات، ولقد جاءت منذ أسبوعين.

– أهلا وسهلا، يا ترى إجازة أم عودة نهائية.

أطرقت سالي متحرِّجة فتولت ليلى التوضيح عنها:

– للأسف، سالي انفصلت عن زوجها وعادت هي والأولاد لتقيم في مصر.

بان الارتباك على خالد ثم تمتم متلعثمًا:

– إن شاء الله تكون أزمة عابرة وتعود المياه لمجاريها قريبًا.

fb/mashro3pdf

علقت سالي بأسى:

– لا أعتقد، الخلافات كبيرة بيننا.. كل شيء نصيب!..

ساد قدْر من الحرج قطعته ليلى متسائلة:

– ماذا تشربان؟.. الكلام أخذنا ولم أقدم شيئًا لسالي.

قالت سالي:

– يا ريت نسكافيه.

التفتت إلى خالد فطلب ويسكي. نهضت لتأمر بالنسكافيه وأعدت لخالد كأسًا ثم عادت به. سألها خالد وأنتِ، ألن تشربي شيئا؟

– سأشرب نسكافيه مع سالي.

جاءت الشغَّالة بالنسكافيه بعد قليل وجلسوا يتسامرون من هنا ومن هناك، فهم خالد أن علاقتهما تعود إلى أكثر من عشر سنوات حينما التقت الأسرتان في أبي ظبي، حيث كان الزوجان يعملان بالأعمال الحرة، وكانت بينهما علاقات عمل في البداية ما لبثت أن تحولت إلى علاقة صداقة بين الأسرتين، كانت ليلى وسالي متزوجتين حديثا، قربت بينهما الغربة فتوطدت أواصر الصداقة بينهما طوال مدة إقامة ليلى وزوجها بالإمارات، تركا بعدها الإمارات إلى القاهرة واستمرت سالي وزوجها بالإمارات. بدأ زوج ليلى مشروعًا سياحيًا بمصر، لكنه سرعان ما اختلف

fb/mashro3pdf

مع شركائه فصفَّى أعماله، وعاد إلى الإمارات لتبقى ليلى بالقاهرة وتبدأ عملها في التمثيل ثم تنفصل عن زوجها بعد ذلك.

استأذنت سالي في الانصراف وهي تقول لليلى:

– لا تتأخري عنى في الاتصال. وإن شاء الله تكون لنا فرصة لقاء قريب مع خالد بك.

انبرى خالد للرد:

– ضروري إن شاء الله قريبًا جدًا.. تكون لنا فرصة العشاء معا.

قالت ليلى بحماسة:

– نعم.. هذه فكرة رائعة.. ما رأيك يا خالد في رحلة المركب.

ثم وهي تلتفت إلى سالي:

– سنتعشى في رحلة نيلية على مركب خاص بنا فقط.

قالت سالي بترحيب:

– الله.. فكرة هايلة..

قال خالد على الفور:

– خلاص.. سأحجز المركب الأسبوع القادم، ليلى ستبلغك بالموعد.

fb/mashro3pdf

أوصلت ليلى سالي إلى الخارج وغابت بعض الشيء في حوارات اللحظات الأخيرة التي عادة ما تطول أكثر من اللازم. عادت إلى خالد وجلست إلى جواره وهي تقول:

– مسكينة سالي، تحملت كثيرًا لتحافظ على بيتها، لكن زوجها صعب جدًا.

– وماذا عن الأولاد؟

– الأولاد معها، ما زالا صغيرين، عُمَر عمره ثمانية أعوام ولمياء أربعة.

14

لا بد من وضع حد لهذه المهزلة، لقد تمادى في تصرفاته ويتعامل كأنه يمتلك الشركة بمفرده، كم خُدِعت فيه.. كان في البداية يتملق مستكينًا عندما كان يسعى لمشاركتي ودعمي المالي.. بدأ في التغيُّر بعد تأسيس الشركة وانفراده بإدارتها.. لا يمكن أن تستمر الحال على هذا المنوال.. سأضع حدا لتجاوزاته، ولتذهب تلك الشركة إلى الجحيم.. سأقوم بتصفيتها.. لا أريد أن أشارك مثل هذه الأشكال.

fb/mashro3pdf

دخل خالد إلى مكتبه مكفهرًا وطلب من السكرتيرة إبلاغ مدير مكتبه باستدعاء مختار العسكري على وجه السرعة. جاءه الساعي بالقهوة بعد دخوله بدقائق وتبعه مختار العسكري، ألقى عليه التحية وهو يتساءل مستطلعًا:

– خير يا خالد بك! أبلغوني أنك تريدني على وجه السرعة.

– اقعد يا مختار.. عاوزك في موضوع مهم.

– تحت أمرك.

– المهندس ماجد شهاب، شريكنا في شركة الساحل الشمالي، يتصرف بشكل خاطئ، أبلغني المدير المالي أخيرًا أنه سحب مبلغًا كبيرًا من حساب الشركة منذ فترة ويماطل في تسويته، طبعا هو العضو المنتدب للشركة، ويملك أن يتصرف بمفرده، منذ مدة وأنا غير راضٍ عن الكثير من تصرفاته، طبعًا نحن نملك الأغلبية في الشركة، لكنه هو الذي يتولى الإدارة، كنت أتصوره أفضل من ذلك عندما شاركناه، ما علينا، الآن أريدك أن تتولى أمر التصرف معه، ليس عندي وقت لهذه السخافات، كل ما أريده أن يرد الفلوس التي سحبها من حساب الشركة بدون وجه حق، وبعدها أريد أن أصفي تلك الشركة، لا أريد أن أتعاون مع مثل هذه الأشكال.

كان مختار العسكري يتابعه باهتمام حتى أنهى كلامه، قال له على الفور:

fb/mashro3pdf

– تحت أمرك يا افندم، سأتولى هذا الأمر، لا تشغل بالك.

15

انتهت الامتحانات وظهرت النتائج معلنة نجاح هبة في السنة النهائية لدراستها بالجامعة الأمريكية. لحظة فارقة لخالد وهدى، فها هي الابنة تنتهي من دراستها لتشعر الأسرة باكتمال مهمتها الأساسية تجاه أبنائها. بدأت الاستعدادات لإقامة احتفال بالمناسبة يدعى إليه العائلة والأصدقاء. انتهت الآراء إلى إقامة الحفل بأحد الفنادق. بدأت هدى وهبة في خطوات الحجز والإعداد والدعوات وانهمكتا في تفاصيلها العديدة.

في اتجاه آخر، كانت ليلى قد وضعت اللمسات النهائية للاحتفال بانتهاء الفيلا وانتقالها للإقامة فيها. سيكون الاحتفال بالفيلا، أما الدعوات فستكون محدودة وقاصرة على الصديقات المقربات والعائلة الصغيرة، تحديدًا الأم والأخت.

بين هذا وذاك، كان خالد منهكًا، فقد أصبح كالمسئول عن كيانين أسريين الآن، يعطيهما الاهتمام المادي والمعنوي في خضم مشاغله المتزايدة في الشركة والحزب، خاصة مع اندلاع الحرب

fb/mashro3pdf

في لبنان بعد الهجوم الإسرائيلي على جنوب لبنان، وقصف قرى الجنوب وبيروت، ثم ما تبع ذلك من غليان في الشارع السياسي.

16

إعياء مفاجئ شعر به خالد في المكتب. تم نقله على وجه السرعة إلى أقرب مستشفى وقامت السكرتيرة بإبلاغ البيت. جرت هدى إلى المستشفى بمجرد سماع الخبر، كانت بمفردها بالمنزل. أجرت المستشفى الفحوصات اللازمة والتحاليل الطبية، واتخذ الطبيب قرارًا بحجزه في المستشفى ليبقى تحت الملاحظة. سألته هدى في جزع:

– خير يا دكتور، هل الحالة خطيرة إلى هذا الحد؟

طمأنها الدكتور مبدئيًا وقال لها:

– يجب أن يبقى تحت الملاحظة في المستشفى، الضغط مرتفع جدًا وكذلك نسبة السكر في الدم.

تساءلت باندهاش:

– سكر؟..

fb/mashro3pdf

– نعم.. السكر تعدَّى 300.

– لكنه لم يكن مصابًا بالسكر يا دكتور.

– يبدو أنه كان مصابًا بالسكر دون أن يدري. هل يتابع مع طبيب بانتظام؟

– لم يكن يشـــكو من شـــيء.. غريبة!.. وإلى متى سيبقى بالمستشفى؟

– يومين نضعه تحت الملاحظة ونضبط له الضغط والسكر ثم يخرج.

استسلم خالد لقرار الطبيب بحجزه في المستشفى، بدا عليه القلق عندما عرف بإصابته بالسكر وارتفاع ضغط الدم بدرجة كبيرة. جاءت هبة بمجرد أن عرفت بالخبر وعلامات الرعب ترتسم على وجهها. تبعها سيف بعد قليل عندما أبلغوه بالخبر. اتصلت هدى بالحاجة خديجة وبعزة أخته لطمأنتهما. حاولت هدى أن تبقى معه في المستشفى لقضاء الليل، لكنه رفض بشدة أن يبيت معه أحد، قال لهم بحزم:

– لا داعي للبيات، لقد تحسَّنت، وبقائي في المستشفى لمجرد الملاحظة، ناموا في البيت وتعالوا في الصباح.

fb/mashro3pdf

17

غادر الجميع مع حلول الليل وهدأت الحركة.. ما هذا الذي حدث؟.. سكر مرتفع وضغط دم عالٍ.. كيف؟.. لم أشكُ من شيء من قبل.. لقد كانت لحظة فظيعة.. إعياء شديد وفقدان للطاقة.. كأنها النهاية.. يا ساتر يا رب.. يجب أن أتصل بليلى.. لقد وعدتها بالمرور عليها اليوم.. سأكلِّمها قبل أن تقلق.. سحب الموبايل من فوق الكومودينو المجاور وطلب نمرتها.. هل أقول لها ما حدث؟.. أم أكتفي بإبلاغها بانشغالي والاعتذار عن المرور!.. آلو.. أهلا ليلى.. الحقيقة.. أنا.. لقد تعبت قليلا في منتصف النهار وأنا في المكتب.. مررت على المستشفى.. هنا إلى جوارنا في المهندسين.. وجدوا الضغط مرتفعًا جدًا.. لذلك طلبوا أن أبقى في المستشفى تحت الملاحظة لضبط الضغط.. لا أنا بخير.. هم أصروا وأنا وافقت على مضض.. لا تقلقي.. سأخرج غدًا.. أو بعد غدٍ على الأقصى.. اطمئني.. وَحشاني.. أنت إيه أخبارك.. عملتِ إيه النهار دا.. لا والله.. أنا بخير.. أنا عارف.. معلهش.. أنتِ عارفة الظروف.. سأمرّ عليكِ بمجرد خروجي.. اطمئني.. تقدري تكلميني في أي وقت.. طيب.. سأتركك الآن.. الممرضة دخلت.. سلام.. دخلت الممرضة وسألته مبتسمة:

– ها.. إيه الأخبار؟.. أحسن؟

fb/mashro3pdf

– الحمد لله.. أشعر أنني عادي جدًا.

– الحمد لله.. هات يدك لأقيس لك الضغط.

قاست له الضغط وقالت له:

– الحمد لله.. الضغط بدأ يستجيب.. إن شاء الله بكرة تصبح زي الفل.

خرجت من الغرفة وهو سارح بفكره.. سحب الموبايل بعد قليل واتصل برقم.. آلو.. أهلا يا ناجي.. إيه أخبارك.. اسكت.. أخوك الظاهر عَجزّ خلاص.. النهار دا شعرت بإعياء ونقلوني المستشفى.. الضغط كان عاليًا جدًا.. وطِلع عندي سكر يا سيدي.. آه والله.. كله فجأة كده.. قالوا يومين تحت الملاحظة لضبط الضغط والسكر.. في مستشفى السلام.. 501.. طيب.. والله نفسي أشوفك فعلا.. لي زمن لم أرك.. أنت عارف المشاغل.. أيوه يا سيدي.. خلّيك أنت في الروَقان بتاعك.. طيب.. سلِّم على منال ومراد.. سلام..

18

جاء الكثير من الزوَّار في اليوم التالي للاطمئنان. زوَّار من المكتب ومن العائلة، وتحولت السويت التي ينزل بها إلى شيء

fb/mashro3pdf

كالمزار. تصدت أخته عزة بشخصيتها القوية لأفواج الزوَّار، وأعلنت احتياجه للراحة بناء على أوامر الأطباء، مما دفع الزوار للاطمئنان والانصراف السريع. استجاب ضغط الدم والسكر للعلاج وأبلغه الأطباء أنه يمكنه المغادرة في اليوم التالي. هدأت الحركة في المساء وانصرف الجميع بعد الاتفاق مع الأسرة على القدوم في الصباح الباكر لمحاسبة المستشفى والعودة إلى البيت.

أطل ناجي برأسه من باب الغرفة، لمحه خالد فنهض من الفراش للترحيب به، خف إليه ناجي ليمنعه من النهوض قائلا:

– لا تنهض من الفراش.. استرح أنت..

– لا تعاملني كالمرضى.. سأخرج من المستشفى غدًا.. ضبطوا الضغط والسكر خلاص وسمحوا لي بالمغادرة.

– حمد الله على السلامة.. كيف حدث كل هذا؟

– بدون سابق إنذار.. فجأة شعرت بإعياء شديد ودوار.. أخذوني على هنا، فوجدوا الضغط والسكر مرتفعين. حجزوني لأبقى تحت المراقبة.

جلس ناجي على الكرسي المجاور للسرير فسأله خالد:

– ماذا تشرب؟

– لا شيء.. شكرا.. قل لي.. ألم تشعر بأي متاعب قبل ذلك؟

fb/mashro3pdf

– إطلاقًا.. كنت زي الحصان.

صمت ناجي مستغرقًا ثم قال له:

– لعل ما حدث يكون إنذارًا لك لتنتبه إلى صحتك.. يجب أن نحترم سننا الآن.

– يا رجل لا تبالغ.. وعكة بسيطة وتعدي.

– لا تكابر بعناد.. أنت تجهد نفسك فوق العادة.. بالراحة شوية!..

– ماذا أفعل.. الشغل زاد والحمد لله، وأمامنا آفاق رحبة.

هز ناجي رأسه متأسيًا وقال له:

– يجب أن يعرف المرء متى يكتفي.

– كيف أكتفي وكل السبل أمامي مفتوحة؟.. النجاح يؤدي إلى مزيد من النجاح والفلوس بتجيب فلوس. أشعر أن الدنيا كلها تكاد تكون في متناول يديَّ.. ياه لقد كنت مخنوقًا أيام المرحوم بابا.. ومهما كنت أحاول إقناعه فلا فائدة.

– وصحتك؟

– ربك بيستر.. سيبك من الهم دا وقل لي ما أخبارك؟

– لا جديد.. أنت تعلم.. حياتي هادئة وبلا أحداث بارزة.

fb/mashro3pdf

هز خالد رأسه متعجبًا وقال:

– لا أعرف كيف تحتمل هذا الموات؟

– بالعكس.. أنا أحيا حياتي بالطول وبالعرض.. أستمتع بكل لحظة فيها.

– يا شيخ اسكت.. أنا لا يمكن أن أتحمَّل هذه الحياة.. أكاد أجن من طريقة تفكيرك.

ابتسم ناجي وهو يهز رأسه استسلامًا. بقي معه لبعض الوقت ثم ودَّعه وهو يقول له:

– سأتصل بك غدا للاطمئنان، أرجو ألا تنزل الشغل على الفور.

ضحك خالد وقال له وهو يصافحه:

– وحياتك بكره سأكون بالمكتب.

19

اتصل خالد بالبيت منذ الصباح الباكر مستعجلا حضورهم لأخذه من المستشفى، جاءوا على الفور، هدى وسيف وهبة، وتم دفع

fb/mashro3pdf

حساب المستشفى وإتمام إجراءات الخروج. أوصاه الطبيب المناوب بضرورة مراعاة عدم الإجهاد في العمل في الفترة الأولى لخروجه من المستشفى. غادروا المستشفى إلى البيت، حيث تجمَّعت العائلة للترحيب به، استأذن منهم بعد قليل للذهاب إلى المكتب، وواجه اعتراضاتهم بكياسة على وعد بالعودة فورًا إلى البيت بمجرد الاطمئنان على سير العمل بالشركة، أصروا جميعًا على انتظاره على الغداء، فوافق على مضض بعد أن فشل في مناورتهم للتملص من الحضور.

كان طلعت السائق في انتظاره، استقل السيارة إلى المكتب واتصل بليلى بمجرد ركوبه السيارة، طمأنها إلى خروجه من المستشفى وقال لها إنه سيحاول المرور عليها في المساء.. سأبذل أقصى طاقتي.. أنتِ تعرفين الالتزامات العائلية.. نحن نسكن جميعًا في بيت واحد، ولا أعرف كيف سأتخلص منهم.. ماما وأختي والأولاد.. صمت لبرهة وبان عليه الضيق والارتباك.. يا ليلى أنت مكانتك على رأسي، وأنت تعرفين ماذا تمثلين بالنسبة لي لكنها ظروف قهرية.. مرض وخروج من المستشفى قد لا أستطيع التصرف.. أرجوكِ قدِّري موقفي.. لقد قلت لكِ إنني سأحاول التصرف بأقصى طاقتي.. تأكدي أنني أكثر اشتياقًا منكِ.. كان يجاهد في خفض صوته حتى لا يصل إلى السائق.. طيِّب سأكلمك فيما بعد فقد وصلت المكتب. نزل

fb/mashro3pdf

طلعت مسرعًا وفتح له الباب. صعد إلى المكتب مكفهرًا وانشغل بمجرد دخوله باستقبال الموظفين وترحيبهم بقدومه وسلامته.

20

لم ينفذ وعده لها بالاتصال بها بعد وصوله إلى المكتب، قد يكون الانشغال بالتهاني والتفاصيل، قد يكون هربًا من المواجهة والجدل، ماذا سيضيف لما قاله في مكالمته لها بالسيارة؟.. بقدر احتياجه لها.. بقدر إحساسه المتنامي بالعبء النفسي، فالمجهود الذي يُبذل في مثل تلك الحالات لحفظ التوازن الحرج بين العام والخاص، أو فلنقل بين الحفاظ على الشكل والانصياع لهوى النفس، هو مجهود مضنٍ، يحتاج لمهارات لاعب السيرك الذي يسير على الحبال، كيف يحافظ على توازنه الذي ينقذه من السقوط يمينًا أو يسارًا؟.. فالسقوط يعني الهزيمة والفقد، وما أقساهما على النفوس التي لا تقبل الهزيمة أو لا تسمح بالخسارة تحت أي ظرف من الظروف.

عاد إلى البيت متأخرًا بعد الظهر، فوجدهم في انتظاره على الغداء. تناولوا غداءهم معًا ودخل لراحة القيلولة، استيقظ من النوم

fb/mashro3pdf

ليجد الأسرة الكبيرة في انتظاره، الحاجة خديجة وعزة أخته مع زوجها وأولادهما. كانت الساعة تقترب من الثامنة مساء، أخذ حماما سريعًا وخرج إليهم في غرفة الاستقبال.. وضْع لا يمكن التصرف فيه، لا يمكن للمرء أن يترك ضيوفه الذين جاءوا للتهنئة بسلامته ويستأذن في الخروج مهما كانت الأسباب، خاصة مع وجود الحاجة خديجة بمكانتها الرفيعة في العائلة جميعًا. بدت عيونه زائغة وهو بينهم يشارك في الحديث من آنٍ لآخر إذا دعيَ إليه، مما أثار تساؤلاتهم القلقة عن صحته، وإن كان يشعر أنه على ما يرام أم ما زال يعاني من أي متاعب.. كيف في هذا الجو يمكن أن يفكر في الذهاب إلى ليلى أو في توابع غضبها لتخلفه، خاصة بعد شعورها بالإقصاء الذي عبرت له عنه سريعًا في التليفون بسبب حرمانها القسري من زيارته بالمستشفى والاطمئنان عليه، كأنها كالغرباء الذين لا يستطيعون الحضور إلا بعد استئذان، وإن سمحت الظروف التي لا يمكن أن تسمح في مثل وضعها المستتر عن الجميع. وضع لا يُحسد عليه.. استسلم لتيار الأحداث من حوله وأرجأ الأمر برمَّته إلى الغد، فليحلها الحلاَّل.

fb/mashro3pdf

21

نزل في الصباح على عجالة إلى المكتب، كان يريد الاتصال بليلى على وجه السرعة، لكنه أرجأ الاتصال لحين الوصول للمكتب حتى يتحاشى الدخول في جدل معها أمام السائق. اتصل بها بمجرد وصوله فلم ترد، نظر إلى ساعته فوجدها قد تجاوزت العاشرة بقليل.. احتمال أنها لم تستيقظ بعد، حاول الانهماك في العمل بلا جدوى، فقد بدا مشتت الذهن. عاود الاتصال عدة مرات دون فائدة.. ليس من المعتاد ألا ترد عليه.. يبدو أن الأمر متأزم!.. عندما تجاوزت الساعة منتصف النهار قرر أن يذهب إليها. غادر المكتب واستقل سيارته بنفسه متجهًا إلى التجمع الخامس.. كان حديثهما التليفوني بالأمس متوترًا بسبب عصبيتها الزائدة.. كانت تنتظر أن أمرَّ عليها بالأمس للاطمئنان عليَّ بعد الأزمة الصحية.. لكن ماذا كان بيدي أن أفعل؟!.. هل أترك الناس في البيت وأذهب إليها!.. لكن من حقها أن تقلق.. واضح أن الأمر كان صعبًا عليها.. سنرى!..

وصل إلى الفيلا ونزل مسرعًا من السيارة، ضغط الجرس وانتظر بفروغ صبر. فتحت له الشغالة فسألها عن ليلى، قالت له إنها بالداخل ودعته إلى الدخول. انتظر بغرف الاستقبال ومظاهر

fb/mashro3pdf

القلق تبدو على وجهه. جاءت ليلى بعد قليل فنهض إليها وأخذها في حضنه، استسلمت له بفتور وهو يقبّلها، سألها:

– أين كنتِ؟.. لقد اتصلت بك عدة مرات.

أجابته بوجهٍ مُتَغَيِّر ونبرة متحفِّظة:

– كنت متضايقة شوية وعملت الموبايل "سايلانت".

تنهد تنهيدةً عميقة ثم قال لها:

– الحقيقة أنا آسف جدًا.. لم أستطع أن أجيء بالأمس.. كل العائلة كانت عندي في البيت، ماما وأختي وزوجها وأولادهما.. لم أستطع التصرف.

نظرت إليه باستياء وقالت له بغضب:

– ألم تستطع أن تتصل تليفونيًا لتبلغ الكلبة التي تنتظرك وهي ستموت من القلق.. هل هذا صعب عليك أيضًا.. ألا أستحق منك مكالمة تليفونية!..

أطرق صامتًا في مواجهة غضْبتها فواصلت:

– ألم تفكر مرة أنني إنسانة لها مشاعر وأحاسيس مثل المدام والأولاد، وأنني لي حق عليك.. أنا لست رفيقة لك ولا أقبل أن أكون.. أنا المفروض امرأتك وأنت رجلي.. إنني أشعر بالمهانة

fb/mashro3pdf

في كثير من الأحيان.. أسال نفسي والألم يعتصرني.. من أنا بالنسبة لك؟.. ماذا أكون بالضبط؟.. واحدة ست تجيء إليها آخر الليل لتنام معها ثم تتركها وحيدة لتروح لبيتك وأولادك وشغلك وعندما تفرغ من كل شئونك تُنعِم عليها بالسؤال.. حرام عليك يا أخي.. أنا لست لعبة تلعب بها في وقت فراغك ثم ترميها..

قالت ذلك بثورة عارمة ثم اختنقت الكلمات بحلقها وانفجرت في البكاء... اقترب منها واحتواها بصدره بقوة.. ربت عليها مهدِّئًا بلا جدوى، فقد تدفقت الدموع من عينيها كسيل أهوج وهي تنتفض من الألم. ضاعت الكلمات تمامًا وسط هذا الألم والأسى الفياض. ماذا يمكن أن يُقال في مواجهة إنسان صادق المعاناة وهو يطرحها مستغيثًا بعد أن فاض به الكيل.

22

حاول خالد تهدئتها بقدر المستطاع، ظلت منطفئة طوال الليل، غادرها في ساعة متأخرة بعد أن تعلل بارتباطه باجتماع مهم في الصباح. لم تُعَلِّق وقامت لتوديعه. عادت إلى الغرفة لتجلس وحيدة شاردة الفكر.. ها هو يغادر في آخر الليل ليعود إلى بيته وأولاده.. تقلصت ملامحها وتنهدت بعمق.. إلى متى تظل هكذا؟..

fb/mashro3pdf

لا تفعل شيئًا في حياتها سوى أن تنتظر حضوره أو اتصاله عندما تسمح ظروفه.. يجيء ليمضي سويعات قليلة ثم يتركها ويرحل ليواصل حياته الفعلية.. ما أنا إلا محطة عابرة.. الرفيقة التي يغمرها بفلوسه وهداياه وكفى.. يجيء ليقضي بعض الوقت.. يأخذ مزاجه ويمضي.. لا يمكن أن يستمر هذا الوضع هكذا.. يجب أن نتكلم بجدية في موضوعنا معًا.. ماذا يريد مني بالضبط؟.. إذا كان يريدني فليتزوجني.. أنا ما زلت صغيرة ومن حقي أن أحيا مع الرجل الذي أختاره ويختارني.. ألف واحد يتمنون ظفري.. مجرد أن أشير.. ما الذي يدعوني إلى هذا الهوان.. صحيح أنه قدم لي الكثير.. لكنني أريده هو.. الإنسان.. أن يكون رجلي.. إذا كان يحبني حقًا فيجب أن يراعي شعوري.. أن يضحي.. ثم إنني لا أطالبه بأن يطلق زوجته.. سأقبل أن أكون الزوجة الثانية احترامًا لظروفه ولأولاده.. رغم أنهم ليسوا أطفالا.. لقد تخرجوا من الجامعة وسيستقلون بحياتهم قريبًا.. الوقت يمر وأنا الخاسرة الوحيدة.. بضع سنوات وتصبح فرصي في الارتباط أقل.. الوحدة قاتلة.. لا يمكن أن أترك الأمور تسير هكذا لتسرقني السكين وأجد نفسي وحيدة بلا رفيق.. يجب أن يفهم شعوري واحتياجاتي.. سالت الدموع من عينيها وهي غارقة في أفكارها.. قامت بعد قليل لتدخل إلى غرفة نومها.. تقلبت في فراشها طويلا قبل أن تتمكن من النعاس.

fb/mashro3pdf

23

دخلت إليه السكرتيرة في اليوم التالي بعد وصوله بقليل، وقالت له:

– الأستاذ مختار العسكري يريد أن يقابلك لأمر مهم.

– خلِّيه يدخل.

خرجت السكرتيرة لتستدعيه ليدخل بعدها على الفور مبتسمًا وعلامات الزهو تبدو عليه. دعاه للجلوس وهو يسأله:

– خيرًا.. ما هو الأمر المهم.

تمهل في حديثه وقال مزهوًا:

– جئت لأطمئنك أن موضوع ماجد شهاب قد تمت تسويته بالأمس.

انتبه خالد له بكل حواسه وسأله:

– انتهى!.. كيف؟

– أودع المبلغ المسحوب في حساب الشركة أمس.

هتف خالد بدهشة:

– لا لا لا!.. غير معقول.. بجد.

fb/mashro3pdf

– عيب يا افندم.. طلباتك أوامر.

ضحك خالد ضحكة صاخبة وهو يخبط كفًا بكف:

– غير معقول.. دا أنت مصيبة.. كيف تصرَّفت معه؟

– نحن لنا طرقنا للتعامل مع مثل هذه الأشكال.. قمنا بعمل بعض التحريات عنه وتجميع بعض المعلومات المهمة.. رصدنا حركته بعد ذلك، واستطعنا أن نكوِّن صورة واضحة عنه.. تحركاته.. اتصالاته.. علاقاته.. وطبعًا كل واحد وله نقاط ضعفه.. خاصة من كان على شاكلة ماجد شهاب..

قاطعه خالد بفضول:

– وهل وجدت أشياء مهمة؟

– بلاوي يا افندم.. لقد كتبت لك تقريرًا مفصلا سأتركه لك لتقرأه على مهل..

– المهم.. ماذا فعلت معه؟

– أبدًا.. قرصنا أذنه قرصة خفيفة فلم يستطع المكابرة.. ثم إنه غلطان وحرامي.

– أرجو ألا تكون قد حدثت أي تجاوزات.. أنا لا أريد مشاكل.. وضعي لا يسمح بأي مشاكل.

fb/mashro3pdf

– اطمئن يا افندم.. أنا المسئول.. وعموما، كل شيء يتم بحذر وبحِرفِيَّة.. حضرتك تأمر في أي مشكلة وأنا رقبتي سدادة.. هذه شغلتي ولا تنعَ الهم.. وسيتصل بك للاعتذار اليوم بعد أن أعطيه التمام بأنني أبلغتك بانتهاء الأمر.

نظر إليه خالد نظرة مليئة بالتقدير ثم قال له:

– لك مكافأة كبيرة على نجاحك في حل هذه المشكلة.

قال له وهو ينهض مستأذنا:

– هذا واجبي يا افندم.. عموما أشكرك على كرمك معي. خير حضرتك يغطيني وأنا رهن إشارتك دائما.

24

اتصل خالد بليلى بعد انتهائه مع مختار العسكري، كان النهار قد انتصف، فقد جاء متأخرًا إلى المكتب نظرًا لتأخره في الاستيقاظ صباحًا. سألها:

– خير.. ما لك!.. صوتك متغيِّر.. هل أنتِ بخير؟

من الواضح أنها ليست على طبيعتها تمامًا. بعد أخذ وعطاء قال لها:

fb/mashro3pdf

– طيِّب.. سأمرّ عليكِ اليوم.

أبلغته أنها عند أختها وطلبت منه أن يمر عليها هناك ليأخذها إلى أي مكان يتحدثان فيه. أختها تسكن بالمهندسين أيضًا بشارع شهاب، كان قد أوصلها إلى بيتها من قبل، اتفقا على أن يمر عليها الساعة الثامنة ليذهبا للعشاء في أي مكان.. اللهم اجعله خيرًا.. قالها لنفسه وهو ينهي المكالمة.. من الواضح أن الأحوال ما زالت متأزمّة معها.. ماذا حدث فجأة هكذا؟.. كل هذا لأني لم أذهب إليها يوم خروجي من المستشفى!.. أليس في هذا مبالغة؟.. أشعر أنها ليست كطبيعتها.. منذ فترة وهي تبدو شاردة في أحيان كثيرة.. أسألها لا تعطيني إجابة شافية.. ثم انفجارها الغاضب بعد المستشفى.. ترى ما الذي غيَّرها هكذا؟.. سنرى. أكمل أموره العاجلة بالمكتب وغادر على الفور عائدًا إلى البيت.. بدا عَكِرَ المزاج، تناول غداءه ودخل لقيلولة استعدادًا للقاء ليلى في المساء.

***

مرّ عليها في المساء ببيت أختها بشارع شهاب، المسافة ليست بعيدة عن بيته. نزلت إليه عندما اتصل بها ليبلغها بوصوله. جلست إلى جواره في السيارة فسألها:

– أين سيارتك؟

fb/mashro3pdf

– هنا، مركونة بالقرب من البيت.

بدا عليه الفضول فأضافت:

– سأبيت اليوم عند أختي.

تحرك بالسيارة في طريقه إلى وسط المدينة ثم سألها:

– أين تريدين الذهاب؟

– أي مكان هادئ نتكلم فيه.

واضح أنها تريد الحديث.. أو هي مُصِرَّة عليه.. ترى ماذا تحمل في جعبتها؟.. أين نذهب؟.. مكان هادئ يمكن أن يكون مناسبًا للحديث.. ليكن سميراميس إنتركونتنتال.. لنذهب للعشاء هناك.. سألها:

– ما رأيك.. نذهب للعشاء في فندق سميراميس إنتركونتنتال؟

– زي ما يعجبك.. أي مكان.

اتجه إلى الفندق وهي صامتة.. ثِقَلٌ يخيم على الجو. ترك السيارة بجراج الفندق وصعدا إلى المطعم. هب المتر دو تيل لاستقبالهما، من الواضح أنه يعرف خالد لتردده على المكان. قادهما إلى طاولة جانبية في ركن هادئ من المطعم، وهو يرحب بهما ثم انسحب لبرهة عاد بعدها بقائمة الطعام ليقدمها لهما، وهو يسألهما عما

fb/mashro3pdf

يفضلان من مشروب. طلبا المشروب والطعام، وبدا خالد مترقبًا لما سوف تطرحه ليلى في حديثها الذي ألحَّت عليه منذ الصباح.

بدا عليها التوتر والتحفُّز. تململت في مقعدها ثم قالت:

– الحقيقة يا خالد أنا كنت أريد أن أتكلم معك منذ مدة.. لا أعرف كيف أبدأ الحديث.. ما أريد أن أتكلم معك فيه ليس سهلا.. والمفروض ألا يكون محل جدل.. أنت تعرف.. أنا سِت مطلقة.. وأيضا فنانة معروفة.. ونحن الآن معا منذ فترة طويلة.. هذا الوضع ليس طبيعيًا.. يعني لا يمكن أن يستمر هكذا.. كما قلت لك.. فهذا الكلام ليس سهلا على الست أن تطلبه... يعني.. إذا كنت فعلا تحبني فإننا يجب أن نتزوج.. لن أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك.. فأنا أحتاج إلى رجل يكون إلى جواري أشعر معه بالأمان.. الأيام تمر ونحن نكبر.. كما أن وضعي حرج في المجتمع.. يعني من جميع الجوانب هذا الوضع لا يمكن أن يستمر..

تفاجأ خالد بكلام ليلى، وبان الارتباك على ملامحه، أطرق صامتًا وأمارات الحيرة ترتسم على وجهه، نظرت إليه ليلى بترقُّب فتململ في مقعده ثم تمتم بصوت خفيض:

– الحقيقة أنك فاجأتني بكلامك..

fb/mashro3pdf

تنهَّدت تنهدة عميقة وبدا عليها الضيق ثم قالت متسائلة:

– وما ردك على هذا الكلام؟

أجابها بعد فترة صمت بدا فيها كمن يستجمع أفكاره:

– طبعًا ليس من السهل الرد الفوري على كلامك.. الموضوع معقد.. فأنا رجل متزوج وعندي بيت وأولاد.. يعني.. لا أدري ماذا أقول لك..

قاطعته قائلة:

– على العموم خذ وقتك للتفكير.. أنا لا أطلب منك ردًا فوريًا.. فكر فيما قلته لك ورد عليّ على مهلك.. ثم إنني لم أطلب منك ترك بيتك وأولادك.. وعمومًا الأولاد كبروا وتخرجوا من الجامعة الآن.. والشرع يسمح لك بالزواج.. أنا ست عملية ولا أطلب المستحيل.. لكن من حقي أن أفكر في المستقبل.. وفي احتياجاتي كامرأة.. امرأة تريد أن ترتبط بالرجل الذي تحبه.. تشعر معه بالأمان والاطمئنان للمستقبل.. تشعر أنه رجلها وأبوها وطفلها جميعا.. وأن تكون له أمام الناس في النور.. تفخر بالانتماء له وتشعر باحترامه لها ومكانتها عنده.. الحياة ليست لحظات أنس عابرة وكفى.. الحياة مشاركة.. في الخير والشر.. امتزاج.. ارتباط فعلي..

جاء المتر بالطلبات وبسطها أمامهما على المائدة، وهو يتمنى

fb/mashro3pdf

لهما عشاء طيبًا، انسحب بعد اطمئنانه على أن كل شيء على ما يرام. شرعا في تناول عشائهما في صمت مشحون غير معتاد. حاول أن يفتعل حديثًا يبدو طبيعيًا ولكنه جاء باهتًا منطفئًا كموقفه المتحفِّظ في مواجهة مشاعرها الصادقة المتأججة.

25

واقع جديد تبدَّى في عالم خالد الصاخب المشحون بالانشغالات والتطلعات والصراعات، واقع بزغ على استحياء بشكل عابر ثم لم يلبث أن تطور وتشكَّل بإيقاع خاطف تزعزع له كيانه واتزانه في مواجهته. بدا حائرًا مشغولا في معظم الأوقات.. ماذا يفعل في مواجهة ذلك الإعصار الهادر؟.. الزواج!.. لم يفكر في هذا الأمر من قبل.. حقًا.. لقد تعلق بها بشكل كبير.. ودون تفكير في التبعات.. يَخِفُّ إليها بعد عناء التصارع وفتور الحياة فتمسح عنه تجاعيد التحفز، وتضمد له جروح المعارك لتتلقفه سالمًا عَفِيًّا مرة أخرى.. تُهدهده ثم تضرم في كيانه ونفسه جميعًا لهيب الرغبة وحيوية الروح.. يرحل معها فيها حتى يُترع بالرضا والسلام.. لم يعد يتصور عالمًا بدونها.. كيف يكون؟.. ولماذا يوجد؟.. لكن يتزوجها!.. وكيف يتصرف في المصائب التي وراءه.. زوجة

fb/mashro3pdf

وأبناء وأم وعائلة وعلاقات اجتماعية وحزب ووضع اجتماعي مرموق.. ماذا يفعل في كل هذا.. هدير مستمر من التساؤلات والأفكار المضطربة يعصف بعقله وكيانه جميعًا.. مونولوج داخلي مستديم.. ما العمل؟.. هل يمكن تصور الحياة بدونها؟.. لا.. لا يمكن.. لقد أصبحت ركنا أساسيًا في حياتي.. وإذا تمسكت برغبتها!.. ما العمل حينئذٍ؟.. هل يمكن أن تفقدها؟.. وهل ستصر حقًا على طلب الزواج؟.. ماذا يمكن أن تفعل؟.. هل يمكن أن تتأثر علاقتنا؟.. تقول رد على مهلك.. ماذا تعني؟.. هل يحمل هذا تهديدًا ضمنيًا؟.. غير معقول.. لقد فعلت الكثير لأجلها.. كل ما تحتاجه تجده رهن إشارتها.. لقد بنيت لها الفيلا بالكامل دون أن تتكلف مليمًا واحدًا.. وكأفخم ما تكون.. لقد كلفتني ملايين الجنيهات.. كل ذلك من أجلها.. وبعد كل هذا هل يمكن أن تتأثر علاقتنا مهما كانت الأسباب!.. لا لا.. لا أعتقد.. قد تكون مجرد محاولة منها.. ثم إنها تقول إنها لا تريد أن أترك بيتي وأولادي.. معنى هذا أنها تقبل أن تكون زوجة ثانية.. لِمَ كل هذا فجأة؟!.. لقد عشنا على ما يرام منذ تعارفنا.. ما الذي غيَّرها.. هل طمعت بعد أن أتممت لها بناء الفيلا؟.. لا.. لا تضعف.. ليس الأمر بهذه السهولة.. لكني لا أستطيع تخيل أن أفقدها.. طيِّب ما العمل؟!.. كأنه طريق مسدود.. هل يمكن أن نتزوج عُرفيًا إذا أصرت.. وكيف يكون الحال إذا انكشف الأمر؟!.. وضعي ومكانتي لا يسمحان بالمغامرة.. عقلي

fb/mashro3pdf

يكاد يجن.. متاهة لا نهاية لها من الحيرة والتساؤلات التي لا تجد إجابات عنده.. تعامله معها أصبح يشوبه قدر من التوجس، في كل مرة يتصل بها يشعر لوهلة بالشلل، يغالب نفسه ليقوم بالاتصال، تتحدث معه بشكل معتاد فيهدأ ويطمئن، يذهب إليها فتستقبله أحسن استقبال، يتوجّس ثم ينبسط، تُعامله برقَّة وعذوبة، يرتبك أكثر، تختلط عليه الأمور.. لا يدري كيف تفكر، وفي ماذا، هل هي تدبر له أمرًا؟.. أم أنها تنتظر قراره كما قالت له.. هل يمكن أن يكون الأمر أزمة عابرة ومرت بسلام؟.. ماذا تنتظر منه أن يفعل؟.. معاملتها الناعمة الودود زادت من هواجسه ولم تساعد في تهدئة قلقه واضطراب تفكيره.. هل ستفتح الموضوع مرة أخرى؟.. أم هو الذي ينبغي أن يأخذ المبادرة؟.. بالتأكيد لن يستمر هذا الصمت المشحون إلى الأبد.

26

ارتبكت أحوال خالد، وزادت عصبيته. يثور لأتفه الأسباب. قَلِقٌ دائما ومشتت التفكير. أمسك بالموبايل واتصل.. آلو ناجي.. وراك حاجة النهار ده؟.. خلاص.. سأمر عليك بالبيت.. على الساعة التاسعة تقريبًا.. حَضَّر لنا الثلج.. سأحضر معي الويسكي.. أنهى

fb/mashro3pdf

المكالمة وغادر المكتب. نظر إلى ساعته وهو في السيارة.. الساعة الثالثة.. فكر قليلا ثم قال لطلعت السائق.. بنا على البيت.. كانت هدى بالبيت بمفردها.. تناولا الغداء ودخل لنوم القيلولة استعدادًا للذهاب لناجي.

بعد التاسعة بقليل كان يركن سيارته بالقرب من بيت ناجي. أخذ زجاجة الويسكي معه قبل أن يصعد. يبدو عليه الضجر.. زفر زفرة طويلة واستقل المصعد. استقبله ناجي بترحيب وجاءت منال من الداخل لترحب به. قاده ناجي إلى غرفته. جلسا يتسامران في أحاديث عابرة ومنال تسألهما:

– ماذا تشربان؟

قال لها خالد:

– سنشرب ويسكي، هاتي لنا الثلج فقط وزجاجة ماء.

استدارت لتغادر الغرفة وتحضر المطلوب وهي تقول:

– سأحَضِّر لكما شوية مَزَّات.

استدار خالد إلى ناجي وسأله:

– ما أخبار مراد في أمريكا؟

– الحمد لله، مشغول جدًا في الجامعة، تعب كثيرًا في البداية لكنه بدأ الآن يتأقلم.

fb/mashro3pdf

– ربنا معاه.. مراد شاطر ويفوت في الحديد. هل ينوي العودة بعد الدكتوراه؟

– اللـه أعلم، الحقيقة لم نتكلم في هذا الموضوع، المهم يحصـل على الدكتوراه الأول وبعدها يحلها ربنا.

جاءت منال بالكاسات والثلج ووضعتهم أمامهما ثم انصرفت وهي تقول لهما:

– سأحضِّر لكما بعض المزات.

صبَّ خالد كأسين وهو يقول:

– اسكت يا ناجي.. أخوك حالته كرب.

أخذ ناجي الكأس منه وهو يسأله:

– خير!.. لم أرك منذ مدة، وتصورت أن الأمور تسير على ما يرام.

أخذ رشفة من الكأس ثم تنهد وقال:

– يا أخي الأمور كانت طبيعية وفجأة الست ليلى تغيَّر حالها وطلبت مني الزواج.

نظر إليه ناجي متفحصًا ثم سأله:

– وما موقفك أنت؟.. هل وصلت العلاقة بينكما إلى هذا العمق؟

fb/mashro3pdf

زفر زفرة طويلة وهو يهز رأسه بحيرة ثم قال متلعثما:

– الحقيقة.. لا أعرف كيف أجيبك.. يعني.. العلاقة قوية طبعًا.. لقد تعلقت بها جدًا.. لا أتصور أني يمكن أن أستغني عنها.. لكني لم أكن أفكر في موضوع الزواج هذا.. أنا قلت إنها كانت متزوجة من قبل ولم توفَّق.. والآن عندها طفل.. يعني.. وهي تعلم أني متزوج وعندي أولاد.. لم يخطر في بالي الحقيقة أن أجد نفسي في هذا الموقف..

– وهل شرحت لها موقفك؟

– أنا لا أعرف ماذا أقول.. ثم إنها تبدو جادة جدًا في الموضوع.. لقد أعطتني مهلة للرد عليها.. أخشى أن أفقدها..

قاطعه ناجي متسائلا:

– وماذا عن هدى والأولاد؟

صمت خالد لبرهة والحيرة تبدو على ملامحه ثم قال:

– تقول إنها لا تطلب مني ترك هدى..

– تقصد أن تتزوجها على هدى؟

شخص ببصره في الفراغ وهو يهز رأسه والحيرة تبدو على وجهه. دخلت منال بصينية عليها بعض الأطباق وضعتها أمامهما

fb/mashro3pdf

وانسحبت. تعرف بالخبرة أن زيارات خالد الشحيحة تعني أزمة ما.. كما تعني احتياجًا إلى صديق العمر.. قد يحكي لها ناجي بعد مغادرته بعض الخطوط العريضة.. وقد لا يحكي.. وهي عادة لا تسأل.. انتظر ناجي أن يسمع شيئًا من صديقة لكنه واصل الصمت. أعاد السؤال بطريقة أخرى:

– هل تفكر في الزواج منها؟

أطرق خالد صامتًا.. قال بعد فترة صمت طالت:

– الحقيقة لا أعرف يا ناجي.. لو كنت أعرف لما كانت هناك مشكلة.. لكن ما أنا متأكد منه هو أنني لا أستطيع الاستغناء عنها.. لا تتصور مدى تعلقي بها.. دماغي سينفجر من التفكير.. طوال الفترة السابقة وأنا أقلب في الأمر.. ماذا أفعل؟.. وكيف أرد عليها؟.. أشعر أنني لو لم أقبل الزواج بها فسأفقدها.. ولا أستطيع مجرد التفكير في هذا الخاطر.

– وهل يمكن أن تغامر ببيتك وأولادك؟

ران صمت طويل بينهما قطعه ناجي قائلا:

– اسمع يا خالد.. لا يمكن أن تلعب بالنار في هذا العمر.. وخصوصًا في وضع مثل وضعك.. أنت تعتبر شخصية عامة الآن.. رجل أعمال معروفًا، ولك وضعك في الحزب..

fb/mashro3pdf

يعني تصرفاتك تحت المجهر.. وبعدين الحكاية بينك وبين هدى دي عشرة عمر.. أولادك الآن كبروا وكيف ستواجههم، فكر بهدوء.. يعني أن تكون لك نزوة جائز.. لكن أن تهدم كل شيء فهذا موضوع خطير.. لا تندفع وراء نزواتك وتهدم المعبد..

– قاطعه خالد بنفاد صبر:

– وما العمل؟

نظر إليه ناجي مليًا ثم قال:

– لا يستطيع المرء أن يأخذ كل شيء.. هذه مشكلتك دائمًا يا خالد.

زفر خالد بضيق وقال له:

– والنبي يا ناجي سيبك من النصايح الفارغة بتاعتك دي!.. يعني أنا جايلك في مشكلة وأنت تعطيني نصائح..

– هذه ليست نصائح يا خالد... هذه حقيقة يجب أن تتنبه لها... مشكلتك طول عمرك أنك تريد كل شيء.. المال والنجاح والقوة والمتعة والبيت والاستقرار... هذا شيء غير ممكن ويجب أن تنتبه إلى ذلك.. ستفقد الشعور بالاطمئنان ولن تحصل على ما تريد.. انزل إلى أرض الواقع قليلا واعترف بأن قدرة الإنسان محدودة..

fb/mashro3pdf

– يعني أنت تطلب مني أن أكون زاهدًا في الدنيا مثلك.. حالتك أنت هي الوضع الشاذ.. قل لي بالله عليك.. مَن مِن الناس يفعل مثلك.. تترك كل شيء وتقعد في بيتك لا تفعل شيئًا.. هل هذه حياة بذمتك؟.. ألا يوجد عندك أي طموح؟.. إيه الخيبة دي!.. لازم الواحد يكون عنده طموح.. ما العيب في ذلك؟

– الطموح الزائد قد يكون سببًا في ضياع الإنسان.. ليكن لك طموحك، ولكن فلتحذر من الجموح.. وأنا لا أطلب منك أن تكون مثلي.. لكل واحد وجهة نظره في الحياة.. ما يسعدك قد لا يشعرني بالرضا..

– طول عمري نِفسي أفهم ما الذي يشعرك بالرضا؟.. أنت تقعد في البيت هكذا مثل بوذا!.. ألا تزهق!.. والنبي اشرح لي.. نفْسي أعرف.

– يا سيدي المسألة أبسط من البساطة.. أنا مستور ماديًا والحمد لله، ولا أريد إلا راحة البال.. صعبة دي..

– ألا تمل من الفراغ؟

– ومن قال إنني أعاني من الفراغ؟..

خبط خالد كفًا بكف وهز رأسه تعجبًا وهو يقول:

– والله العظيم أمرك عجب!.. لو كنت أستطيع أن أفهمك!..

fb/mashro3pdf

– يا سيدي لا تشغل بالك بي.. المهم.. ماذا ستفعل في مشكلتك؟

زفر زفرة طويلة وهو يقول:

– والله ما أنا عارف!.. أنا خلاص.. سوف أجن..

صمت لبرهة ثم سأله:

– عندك مزيكا هادية نسمعها..

نهض ناجي إلى جهاز الاستماع والتقط إسطوانة وضعها فيه، أدار الجهاز فانبعثت موسيقى هادئة لآلة البيانو، سأل خالد:

– ما رأيك؟.. ماشي كده؟..

– ماشي.. محاولة لتهدئة الأعصاب.. أنا تعبان جدا يا ناجي..

انسابت الموسيقى في جو المكان فبعثت فيه عبقًا من السكينة والصفاء استسلما له للحظات قطعها خالد متسائلا باستنكار:

– لا أدري ما الذي دفعها فجأة لفكرة الزواج.. وبهذا الإلحاح؟!

علق ناجي بعد برهة:

– من حقها أن تبحث عن الاستقرار.

رد خالد بانفعال:

fb/mashro3pdf

– لقد وفرت لها كل شيء.. لم أبخل عليها..

– الحياة ليست ماديات فقط.. الحياة مشاركة. لو تريد رأيي.. من الأفضل أن تتركها لحالها.. هي في سن تسمح لها بالزواج وأنت عندك زوجة وأولاد... ليس من العدل أن تحتفظ بها ما دمت لن تستطيع الزواج منها.

سرح خالد بفكره طويلا ثم تمتم:

– الكلام النظري سهل.. أنت لا تتصور مكانتها عندي.. لا يمكن أن تضيع مني مهما كان.. لن أحتمل..

نظر إليه ناجي بأسى وتمتم وهو يهز رأسه:

– لكم أخشى عليكَ منكَ..

صب خالد كأسًا أخيرة وهو يقول:

– One for the road....

***

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الفصل الرابع

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

1

اقترب شهر رمضان وانشغلت ليلى في إتمام حلقات المسلسل التليفزيوني الذي تشارك فيه، استمر الانشغال خلال الشهر الفضيل في سباق مع الزمن للانتهاء من الحلقات قبل موعد عرضها، دوامة تحدث في الكثير من المسلسلات كل عام. كان انشغال ليلى بهذا الشكل المضني رحمة لخالد ليلتقط أنفاسه ويفكر في مشكلته معها وكيفية الخروج منها سالمًا. لم تسمح دوامة مشاغل شهر الصوم واجتماعياته، إلى جانب عمل ليلى المتواصل، بلقائهما إلا لقاءات خاطفة لاهثة لا تسمح بالاسترسال أو التعمق في أي حديث، مجرد الاطمئنان وتبادل الأخبار حول العمل ومشاكله. استمر انشغال ليلى بعد انقضاء شهر رمضان في حفلات التكريم والندوات التي تقيمها منتديات الروتاري والليونز وتوابعهما إلى جانب الأندية الرياضية والجمعيات الأهلية وما شابه احتفاء بالمسلسلات وأبطالها.

fb/mashro3pdf

لم يتوقف خالد عن التفكير طوال هذه الفترة وإن كان بوتيرة متقطعة حسب كثافة الحركة والانشغالات التي تجرف الجميع في دواماتها. ها هي الأيام تمر دون أن يصل إلى قرار يطمئن إليه.. المماطلة.. التسويف.. الزواج العرفي.. الزواج في السر.. إعلان موقف واضح بعدم القدرة على الزواج نتيجة لظروفه.. لكن في هذه الحالة ما العمل إذا كانت مصممة على الزواج ورفضت الاستمرار؟.. هذا ترف لا يحتمل التفكير فيه.. دوامة عبثية راح يدور فيها تائهًا وعاجزًا عن الاطمئنان إلى قرار يرسو عليه.

2

قالت له هدى أثناء تناوله طعام الإفطار قبل أن ينزل إلى المكتب:

– الحاجة خديجة تسأل عنك، تقول إنها لم ترك منذ مدة وتريد أن تتكلم معك في موضوع مهم.

هزَّ خالد رأسه وهو سارح بفكره كعادته في الفترات الأخيرة وتمتم:

– سأمرّ عليها الآن قبل المكتب.

fb/mashro3pdf

لم يَرَ أمه منذ فترة على غير عادته مهما كانت مشاغله.. كأنه كان يتحاشى لقاءها.. من يرصد الموقف من الخارج قد يصل إلى هذه النتيجة.. ترى هل لهذا الاستنتاج حظ من الصحة؟!.. هو الابن الذي يكن كل الاحترام والحب والتقدير لتلك السيدة المهيبة في حكمة وهدوء.. هل يشعر داخليًا بالخشية من لقائها؟.. كالطفل الذي تصرَّف على هواه بعيدًا عما قد تتوقعه الأم منه حسب منظومة القيم التي نشأ عليها تحت رعايتها وبمباركتها.. يتوجس أن تفضحه عيناه فتستنتج من خلالهما ما يمور بداخله من فيوض الهواجس والصراعات والأفكار. أنهى إفطاره ودخل إلى غرفته لاستبدال ملابسه. أخذ حقيبة أوراقه وغادر نازلا الدرج لزيارة سريعة للحاجة. دخل إليها صاخبًا بالتحية والاعتذار لانشغاله عنها طويلا، احتضنته بحرارة ولم تعلق. جلس إلى جوارها متوددًا وهو يختلق الحكايات عن مشاغله في الشغل والحزب وهي تستمع إليه في هدوء.

قالت له بعد أن أنهى حديثه:

– كنت أريد أن أؤدي فريضة الحج هذا العام.

ظهرت عليه المفاجأة وقال متداركًا بسرعة:

– طبعًا.. تحت أمرك.. سأرتب لك كل شيء بإذن الله.

سألته بهدوء:

fb/mashro3pdf

– ألا تفكر في أداء الفريضة معي؟

تفاجأ بطلبها غير المباشر المُتَضَمَّن في السؤال وقال متلعثمًا:

– الحقيقة لم أفكر من قبل لكنها فكرة ممتازة.. سأرى ظروفي وأحاول ترتيبها.

– على الأقل لكي لا أسافر بمفردي.

كان الارتباك باديًا عليه، فالأمر لم يكن في الحسبان، نهض بعد برهة وقال وهو يودعها:

– سأتركك الآن.. عندي موعد مهم.

– ألن تشرب القهوة معي؟

أجابها متحججًا كمن يريد أن يتخلص من الموقف:

– الحقيقة مضطر للذهاب إلى المكتب سريعًا لأني تأخرت على الموعد.. سأمر عليك قريبًا لنقعد قعدة طويلة، واطمئني.. فسوف أقوم باللازم.

fb/mashro3pdf

3

نزل متعجلا ليجد طلعت السائق في انتظاره، استقل السيارة وطلب منه التوجه إلى المكتب. جلس واجمًا في السيارة.. هل سيسافر للحج مع الحاجة؟.. فكرة لم تكن في الحسبان.. لكن.. هل يتركها لتسافر بمفردها؟.. سؤالها لي كان يحمل ضمنيًا رغبتها في سفري معها.. هل هذا وقت أداء فريضة الحج؟.. أستغفر الله العظيم!.. يا لها من مفاجأة.. وماذا عن المشكلة العويصة التي لا أعرف كيف أتصرف في مواجهتها.. ليلى تنتظر كلمتي.. وأنا لا أعرف برا أرسو عليه.. تنظر إليّ في الفترة الأخيرة نظرات محملة بالمعاني.. فيها الانتظار.. وفيها درجة من الحزن والأسى.. العتاب.. لكن ذلك لا ينعكس على تصرفاتها معي.. تتعامل معي بمنتهى اللطف والرقة.. وهذا يعذبني أكثر.. أشعر أني أنجذب إليها أكثر فأكثر.. أتشبث بها كأنها ستضيع مني.. لا يمكن أن يحدث هذا.. إنني لا أستطيع الاستغناء عنها.. لكن ما العمل؟.. كيف نتزوج؟.. ماذا أقول للناس وكيف أواجههم؟... هل يمكن أن يكون الحج فرصة للاختلاء بماما ومفاتحتها في الموضوع؟!.. لا يمكن أن أفكر في الزواج من ليلى دون مباركة الحاجة.. لو استطعت إقناعها هي!.. في هذه الحالة أكون قد قطعت منتصف الطريق أو يزيد.. يا سلام لو أستطيع إقناعها!.. لكن كيف سأعرض عليها الأمر؟..

fb/mashro3pdf

ماذا أقول؟.. من أين أبدأ؟.. هل من الممكن أن تكون فترة الحج وانفرادي بها لتلك الفترة فرصة حقيقية لحل هذه المعضلة؟.. هل توافق؟.. ولماذا ترفض؟.. ألن أتزوجها على سنة الله ورسوله؟.. وهل تستطيع أن تعترض على ما أجازه الشرع؟.. خاصة ونحن في الأراضي المقدسة وفي رحاب الرسول.. من يدري؟.. واللهِ قد تكون فرصة يَسَّرها الله لتتهيأ الفرصة لمفاتحتها وإقناعها.. وصلت السيارة إلى المكتب.. تمتم وهو يغادر السيارة.. لا بأس.. سأقتنص الفرصة.. ليكن.. سأسافر معها وربنا يجيب اللي فيه الخير..

4

آلو.. أهلا يا سالي.. أنا في مكتب المنتج لمناقشة بعض التفاصيل.. أنت في البيت.. وأنا كمان زهقانة.. سهرانة شوية.. طيِّب سأمرُّ عليكِ.. أنا قدامي نصف ساعة بالكتير.. أو كي.. باي.. أنهت ليلى مناقشاتها مع المنتج بخصوص المسلسل الجديد الذي يعرضه عليها، وغادرت المكتب في طريقها إلى بيت سالي. لم يتصل بها خالد اليوم.. أحسن.. هكذا تمتمت لنفسها وهي تتذكر.. سأسهر عند سالي.. الواحدة تفضفض شوية.. خلاص.. أكاد أجن.. وهو

fb/mashro3pdf

يستعبط.. يتجاهل الأمر.. كأن شيئًا لم يكن.. يتصرف بشكل عادي.. إنما للصبر حدود..

ركنت السيارة تحت بيت سالي وصعدت إليها.. كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة بقليل.. استقبلتها سالي بالأحضان.. لكِ وحشة.. لم نلتقِ منذ شهور.. من قبل رمضان.. آه صحيح.. زحمة الشغل كانت فظيعة.. كل سنة نفس المشكلة.. لازم نتزنق في رمضان.. أخذتا تتبادلان الثرثرة من هنا ومن هناك.. سألتها سالي:

- ماذا تشربين؟
- عندك نبيذ؟
- عندي نبيذ أحمر.
- خلاص أشرب نبيذ..
- وأنا سأشاركك.

أحضرت سالي النبيذ وأدارت جهاز الموسيقى.. رن موبايل ليلى فأخرجته من حقيبة يدها، نظرت إليه وتمتمت.. دا خالد.. آلو.. أيوه يا خالد.. لا.. أنا عند سالي.. أنهيت موعدي مع المنتج ومررت على سالي في البيت.. لا.. لقد وصلت لتوي.. يمكن أنام معها.. أو أروح لأختي.. لا أعرف بالضبط.. سأرى.. أو كي..

fb/mashro3pdf

بكرة نتكلم.. تصبح على خير..

أشعلت سالي سيجارة وهي تتساءل:

– إيه.. بيتمم عليكِ..

أجابتها بامتعاض:

– يا أختي بَلا خيبة.. والله ما أنا عارفة إيه آخرة الحكاية دي!..

عَلَّقت سالي بحذر:

– العلاقة طالت والوقت يمر.. حرام أن تظلي معلقة هكذا!..

– لقد طلبت منه أن يحدد موقفه.. ما زال لم يرد عليَّ..

– المفروض طبعًا أن يحدد موقفه.. إذا كان فعلا يحبك فيجب أن تتزوجا..

صمتت ليلى لبرهة وبان الأسى على وجهها ثم تمتمت:

– لا أدري إذا كان يتجاهل الموضوع أم يفكر فعلا في اتخاذ خطوة!..

ران الصمت بينهما وليلى سارحة بأفكارها، تساءلت سالي:

– لكن.. ما العلاقة بينه وبين زوجته؟

fb/mashro3pdf

أجابت ليلى بضجر وهي تشيح بيدها:

– لا أعرف.. يتحاشى الكلام معي عنها.. أو هذا ما يبدو لى..

– المصيبة أن يكون معتبرك عشيقة.. الزوجة والبيت موجودان وأنت لقضاء الوقت..

قالت ليلى بغضب:

– يبقى بيحلم.. والله إذا لم يحدد موقفه فلن يرى وجهي مرة أخرى.. أنا زهقت..

– طبعًا أنت الخسرانة.. الزمن يمر والواحدة منا تكبر والرجل كل همّه أن يأخذ مزاجه من الست وبعدين يرميها ويشوف غيرها.. صنف نمرود..

– ملعون أبو الرجالة وسنينهم.. ليتنا نستغني عنهم ونعيش في سلام..

ضحكت سالي وهي تقول:

– المصيبة أننا لا نستطيع.. نقع في الحفرة ثم نقوم بالعافية لنقع في حفرة ألعن منها.. لا نتعظ ولا نتعلم..

– لا والله.. أنا لن أسكت هذه المرة.. حقًا لقد أعطيته مهلة

fb/mashro3pdf

للرد لكنني لن أنتظر إلى ما شاء الله.. سأنتظر إلى أن يعود من الحج ثم لا بد أن نضع النقط على الحروف.. ملعون أبوه وأبو اليوم اللي عرفته فيه..

تساءلت سالي بتعجب:

– الحج.. هو إن شاء الله مستشيخ ويعرف ربنا قوي؟..

أشاحت ليلى بيدها وقالت:

– أنا عارفة يا أختي!.. يقول إن أمه تريد أن تذهب للحج هذا العام، وتريده أن يرافقها.. لقد نويت أن أعطية مهلة أخيرة لحين عودته من الحج.

استمرتا في المناجاة حتى ساعة متأخرة من الليل حين قالت ليلى:

– سأتركك الآن.

– إلى أين.. لا طبعًا.. ستبيتين معي.

– أريد أن أرى ماما وأن أطمئن عليها، لها أسبوع وهي تشكو من آلام ظهرها.

– وهل ستطمئنين عليها آخر الليل؟.. تنامين معي والصباح رباح.

fb/mashro3pdf

5

أتم خالد كل ترتيبات السفر لأداء فريضة الحج له وللحاجة خديجة، المرة الأولى له والثانية لها. يوم السفر تجمَّعت الأسرة بشقة الحاجة لتصحبهما إلى المطار. نزل إليهم خالد بملابس الإحرام ليأخذ الحاجة ويتوكلا على الله. تحرك ركب سيارات الأسرة إلى المطار يزفون السيارة التي تقل خالد ووالدته. تم الوداع، وطلب الدعوات في المطار وانخرط المسافران بين بقية الحجاج.

وصلا إلى جدة وأتما إجراءات الدخول وسط ازدحام المطار بالحجاج القادمين من جميع أنحاء العالم. خرجا من المطار ليجدا سيارة فان من فرع الشركة في جدة في انتظارهما لتقلّهما إلى مكة المكرمة. أقلتهما السيارة إلى الفندق المحجوز لهما فيه، وبقيت معهما لخدمتهما. أنهيا إجراءات الدخول وصعدا إلى غرفتيهما للراحة من عناء الرحلة وازدحام المطارات.

اتفق خالد مع والدته على اللقاء بعد فترة راحة يسترجعان فيها طاقتهما لمغادرة الفندق، وبدء مناسك الحج بطواف القدوم والصلاة بالمسجد الحرام.

fb/mashro3pdf

6

مر يوم الوقوف بعرفة مفعمًا بمهابته وروحانياته المتسامية بنفوس الملايين الساعين إليه من أنحاء المعمورة، لتنتهي بذلك أهم شعائر الحج وقد صفت النفوس واغتسلت من أدرانها وأحزانها وذنوبها جميعًا، وتعالت فوق صغائر الحياة وشواغلها المتهافتة. واصلا بعد ذلك بقية مناسك الحج بالتوجه إلى منى لرمي الجمرات وانتهيا بالعودة إلى مكة لأداء طواف الوداع.

كان الترتيب أن يتوجَّها صباح اليوم التالي إلى جدة ليستقلا الطائرة إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول.. لم يستطع خالد ليلتها أن ينام.. كيف سيفاتح أمه في موضوع الزواج؟.. وأي الكلمات ينتقي؟.. لقد نوى أن يتكلم معها بعد زيارة قبر الرسول وقبل العودة إلى القاهرة مباشرة. تصور أن هذا الوقت سيكون الأمثل بعد صفاء النفوس وهدوئها، ينفرد بأمه ويحاول إقناعها برغبته في الزواج من ليلى.

استيقظا مبكرا قبل طلوع النهار ليلحقا بصلاة الفجر قبل أن يغادرا مكة إلى المدينة المنورة. تحركا في الموعد المحدد قاصدين جدة ليستقلا الطائرة. وصلا إلى المدينة المنورة ليجدا مندوبًا عن الشركة في استقبالهما. قادهما إلى الفندق وتركهما ليستريحا قبل أن يقوما بزيارة قبر الرسول.

fb/mashro3pdf

7

في الليلة الأخيرة لهما قبل السفر نهار اليوم التالي عائدين إلى القاهرة، استجمع خالد شجاعته وتوكل على الله في مهمته العسيرة، ذهب إلى الحاجة خديجة في غرفتها بالفندق بعد أن انتهيا من تناول العشاء وصعدا إلى غرفتيهما. نقر باب الغرفة بهدوء وهو يعلن عن نفسه بصوت مرتجف، فتحت له أمه التي كانت تستعد للنوم كعادتها في النوم المبكر بعد الصلاة... رحبت به فدخل وهو يفتتح الحديث متسائلا:

– هل ستنامين على الفور؟

ردت عليه مرحبة:

– لا يا حبيبي.. تعالَ..

جلس قبالتها والارتباك بادٍ على ملامحه، وهو يتأهب لفتح الموضوع. نظرت إليه باهتمام منتظرة أن يفصح عن حالة الارتباك التي أحست بها بقلب الأم. بادرت بسؤاله:

– خير يا خالد!.. أتريد أن تقول شيئًا؟

تململ في مقعده، وبدا كمن يستجمع نفسه المبعثرة، تنهَّد بعمق وقال لها والتردد يغلف كلماته وتدفقها:

fb/mashro3pdf

– الحقيقة يا حاجة.. كنت عاوز.. يعني.. أتكلم معك منذ مدة.. لآخذ مباركتك ورضاك.. بخصوص خطوة نويت أن أستخير الله فيها.. هي الحقيقة خطوة ترددت فيها كثيرًا طبعًا.. لكن في النهاية.. لا بد أن يواجه الإنسان.. يعني.... أرجو أن تتفهمي قصدي.. الحقيقة.. وبصراحة.. أنوى أن.. أتزوج على سنة الله ورسوله إنسانة تعرفت عليها منذ مدة طويلة.. والآن.. بعد أن حججت إلى بيت الله أريد ألا أغضب الله.. وأن..

تغيّر وجه الحاجة خديجة وهي تستمع إليه ولم تلبث أن قاطعته بحزم:

– ما هذا الكلام الفاضي الذي تقوله؟!.. ألا تخجل من نفسك في مثل هذه السن!.. ماذا جرى لك؟.. هل جننت؟.. وامرأتك؟.. وأولادك.. يا أخي عيب.. اختشِ على دمك.. وكمان تعترف أنك تعرف هذه الست منذ مدة!.. هكذا!.. بدون خجل.. عيب يا خالد!.. لا أستطيع أن أصدق.. هل هذا ابني الذي ربَّيته؟.. ابنتك أصبحت عروسة على وش جواز.. وابنك رجل الآن.. إيه الخيبة دي..

زاد ارتباكه وظهرت حبّات العرق على وجهه، قال مدافعًا عن نفسه:

– ولكني سأتزوجها على سنة الله ورسوله.. ألم يحل الله للرجل الزواج مثنى وثلاث ورباع؟..

fb/mashro3pdf

نظرت إليه شذرًا ثم قالت بغضب مقاطعة:

– وهو الذي نبّه في نفس السورة قائلا، ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾. صدق اللـه العظيم. أتنتقي من كلام اللـه ما يناسبك وتتغاضى عما عداه. عُد إلى صوابك واتقِ اللـه في زوجتك وأولادك.. ليس هذا ما تربيت عليه يا خالد.. سامحك اللـه!.. لا أريد أن أسمع هذا الكلام مرة أخرى.. مفهوم استغفر اللـه واهتم ببيتك وعملك حتى يبارك لك اللـه فيهما..

جلس ساهما لفترة لا يدري ماذا يضيف.. هز رأسه أسًى ثم نهض مودعًا وخرج إلى غرفته واجمًا، ليس من الممكن مواصلة المجادلة مع الحاجة خديجة أكثر من ذلك في موضوع بمثل هذه الحساسية، بل إن فتح هذا الموضوع من الأساس كان مخاطرة غير محمودة العواقب.

fb/mashro3pdf

8

وصل خالد إلى القاهرة عائدًا من الحج، ولم يتصل بليلى فور وصوله كعادته، يقدم على الاتصال بها بفعل العادة والرغبة والاشتياق، ثم يحجم توجسًا.. ماذا يقول لها وهي التي تنتظر رده منذ ما قبل السفر للحج بمدة طويلة.. صبرت عليه.. أعطته المهلة تلو المهلة على أمل أن يتدبر الأمر ويشرع.. وها هو يعود من الحج فاقدًا للتوازن بعد حديثه مع الحاجة خديجة الذي كان باترًا حازمًا قاطعًا الطريق على أي أمل له في التفكير في الزواج من ليلى.. ما العمل الآن؟.. كيف يواجهها وماذا يقول لها؟.. مر يومان والحال تزداد تأزمًا مع مرور الوقت. حدثت مشكلة طارئة في العمل تستدعي سفره السريع إلى ألمانيا، فاندفع إلى السفر فورًا دون أن يفكر في العقبات.. سيبحث عن الحجج فيما بعد.. لتكن الرحلة السريعة فرصة لترتيب الأوراق والبحث عن مخرج له من تلك الورطة.. لا.. سأتصل بها من هناك.. سأقول لها.. إنني سافرت في اليوم التالي لوصولي من الحج لأمر طارئ.. ولماذا لم أتصل لأبلغها قبل السفر.. لا لا.. سأتصل من المطار.. حتى يكون اتصالي قبل السفر.. سأقول لها وصلنا بالأمس في وقت متأخر.. ووجدت مصيبة في انتظاري استدعت سفري المفاجئ.. وهل ستكذب؟.. إنك عائد للتو من الحج!.. إنها كذبة بيضاء..

fb/mashro3pdf

وإن اللـه غفور رحيم.. ماذا أفعل؟.. هذا هو أفضل السيئ.. حتى أستطيع أن أتدبر الأمر..

في المطار، استجمع تركيزه واتصل بها.. أهلا ليلى.. اللـه يسلمك.. وصلت بالليل.. أنا أكلمك من المطار.. لا.. أبلغوني بمشكلة كبيرة في الشغل وكان من الضروري أن أسافر فورًا.. لازم أحاول أتجنب الخسائر.. واللـه مرهَق جدًا ومسافر غصبًا عني.. ماذا أفعل.. لا.. لن أتأخر.. سأعود بعد يومين.. ماذا؟.. قولي لي الآن.. ما الذي لا يصلح أن تقوليه في التليفون؟!.. أقلقتِني!.. طيب اعطيني أي فكرة.. يوه يا ليلى.. ما الموضوع؟!.. طيب أنتِ بخير؟.. الأمر للـه.. سأتصل بك فور عودتي.. ألا تحتاجين أي شيء؟.. طيب.. سلام.. أنهى المكالمة وبدت علامات الحيرة على وجهه.. ما الموضوع الذي تريد أن تتكلم معي فيه؟!.. هل هو موضوع الزواج؟.. لا أعتقد.. لا يستدعي أن تذكره لي في مكالمة عابرة كهذه.. ماذا إذن؟.. أنا ناقص قلق!.. اللهم اجعله خيرًا.. سمع النداء على الطائرة فاتجه إلى باب الخروج.

fb/mashro3pdf

9

قلق إضافي هيمن عليه في رحلته الخاطفة جعله مدفوعًا للقاء ليلى واستطلاع الأمر، توارت الآن هواجس المواجهة ومحاذير المخاطر المتوقعة. اتصل بها من المطار فور عودته وأبلغها بمروره عليها على الفور. استقل سيارة ليموزين وانطلق إلى التجمع الخامس، اتفق مع السائق على انتظاره لحين الانتهاء من مهمته. كان يريد أن يعرف، ما الأمر بالضبط.

استقبلته ليلى بابتسامة فاترة تشي بحرج الأحوال. جلسا يتحدثان أحاديث اللقاء بعد طول غياب والقلق بادٍ على ملامحه. سألها مقاطعًا:

– خير.. ما الموضوع الذي أردتِ أن تكلميني عنه؟

تململت في مقعدها وبدا عليها خليط من التوجس والتوتر. قالت بعد فترة صمت:

– خالد.. أنا حامل.. لا أدري كيف حدث ذلك.. لكن الدورة الشهرية تأخرت، ذهبت إلى الطبيب فأبلغني بأنني حامل.

تغيَّر وجهه واضطربت أنفاسه، وقْع الخبر كان صاعقًا عليه كما وشت بذلك ملامحه المتقلصة وفقدانه للكلمات لفترة بدت كالدهر لكليهما.

fb/mashro3pdf

تساءل بصوت متحشرج:

– كيف حدث ذلك؟.. ألا تأخذين احتياطاتك؟

– لا أدري!.. لقد قال لي الطبيب إن الحمل يحدث أحيانًا رغم الاحتياطات.. هذه إرادة ربنا..

أطرق للحظات ثم سألها:

– وما العمل؟

أجابته على الفور بنبرة فيها بعض من الاعتراض الممزوج بملمح من التحدي:

– لا أدري!.. كما تشاء.

ها هي كل الأمور تتعقد بتواطؤ مدهش.. كأنما المصائب لا تأتي فرادى.. اللـه!.. كما أشاء!.. كأنني أنا صاحب الكلمة الأخيرة الآن!.. بهذا أكون قد وُضِعت في ركن لا أستطيع الفكاك منه.. لا.. وحياة أمك.. لن أقبل أن يُلْوَى ذراعي.. كيف يكون موقفي الآن؟.. إنني لم أستطع أن أتكلم مع الحاجة في الزواج.. هل أجيء لها الآن بخبر إنجاب المحروس الذي في بطنها!.. ووضعي في المجتمع.. وفي الحزب.. رجل الأعمال المحترم يقوم بأداء فريضة الحج ثم ينجب في الحرام.. انتفض في مكانه وقال لها بنبرة حاسمة:

– الحمل دا لازم ينزل..

fb/mashro3pdf

ران صمت ثقيل بينهما، ظلت ليلى تحدِّق فيه إلى خالد بنظرة مفعمة بالمعاني التي يصعب الإلمام بها في كلمات عاجزة عن إدراك فداحة آلام البشر في بعض اللحظات. قرار بالإجهاز على حياة بازغة وروح بريئة لم تتدنَّس بعد بأدران البشر العابثين في هذا العالم المعربد اللاهي. حكم بارد متبلد بالإعدام، دون الحق في الدفاع. الرد فيه الجواب الشافي على كل شيء.. تسرَّبت الدموع من عينيها وهي تدرك الآن جواب ما انتظرته منه طويلا.. هي مجرد متعة عابرة.. يغدق عليها من أمواله الميسورة.. وفقط.. ما عدا ذلك يعتبر في عداد الأمور العابرة.. المشاعر.. الارتباط.. الأمان.. الدفء.. الأمل.. المستقبل.. الحياة.. الامتداد.. هزت رأسها والدموع تتدفق من عينيها.. نهض خالد فجأة، كمن لا يحتمل ثقل الموقف أكثر من ذلك.. قال بتعجُّل مضطرب وهو يتجاهل النظر إليها:

– لازم أمشي الآن.. لقد أتيت إليك من المطار والتاكسي في انتظاري.. سوف أتصل بك لأطمئن عليك.

اتجه إلى الباب مغادرًا وبقيت هي في مكانها غير قادرة على الفعل. ظلت كذلك لفترة طالت وهي منخرطة في البكاء. قامت إلى غرفتها واندسَّت في الفراش وهي لا تستطيع أن تتوقف عن البكاء.

fb/mashro3pdf

10

تراكمت السحب تباعًا واكفهر الجو. منذ إثارة موضوع الزواج وطلبها تحديد موقفه، ثم مرور الأيام دون أن يعطيها ردًا يوضح ما ينوي أن يقدم عليه تجاه ارتباطهما، والآن موضوع حملها المفاجئ وطلبه الحاسم بالتخلص من الجنين، كل هذا ساهم في خلق نوع من التوتر المكتوم بينهما، يتعاملان معا بما يشبه التعاملات الطبيعية، لكن ما يمور تحت السطح من عواصف تتجمع وتشتد لا يعبر عن حقيقته حتى الآن، ولا يفصح عما يمكن أن تؤول إليه المقادير.

لم يتصل بها في اليوم التالي، حاول لكنه بدا كالمشلول، لا بد من الاتصال والسؤال عنها، إلى جانب الاطمئنان على موضوع التخلص من الجنين.. هل يمكن أن تعاند وتحتفظ به لإحراجي ودفعي للزواج منها.. لا يمكن السماح بهذا التهريج.. لا بد أن تتخلص منه.. تبقى مصيبة لو قاومت.. ماذا أقول للناس؟.. حتى لو كنت أفكر في الارتباط، فإن ذلك كان يحتاج إلى ترتيبات مسبقة وتهيئة لكل الأمور.. لكن الآن!.. وخاصة بعد حديثي مع الحاجة!.. لقد أصبح الأمر في عداد المستحيل.. لن أستطيع أن أعصي أمرها.. يا ربي!.. ما كل هذه المشاكل؟!.. اتصل في اليوم الذي يليه فلم ترد.. عاود الاتصال دون جدوى.. لماذا لا ترد؟.. هل هي محاولة للضغط؟!..

fb/mashro3pdf

قد تكون غاضبة مني!.. ماذا أفعل؟.. أنا فعلا أحبها.. لكنها يجب أن تتفهَّم موقفي.. ثم إنها ليست محرومة من الأمومة.. عندها ابنها.. والإنجاب يجب أن يكون باتفاق الطرفين.. لم أكفر حين طلبت منها أن تتخلص من الجنين.. حاول الاتصال مرة ثالثة ورابعة.. نفس النتيجة.. بدأ توتره في الازدياد.. عاود الاتصال مرات ومرات.. بعد العشرات من المحاولات رد التليفون أخيرًا.. ردت عليه سالي.. أين ليلى.. ماذا؟.. في غرفة العمليات.. تتخلص الآن من الجنين.. أين أنتم؟.. وأين هذه المستشفى؟.. في الهرم.. هل معكما أحد؟.. طيب.. سأتصل فيما بعد.. ضروري تردي عليَّ.. خدي بالك منها يا سالي وحياتك.. هل ستذهب إلى البيت بعد العملية؟.. عندك في البيت.. طيب.. سلام.. أنهى المكالمة وتنهّد.. الحمد لله.. لقد تخلصت من الجنين.. ياه!.. هم وانزاح.. كنت أتمنى أن أكون بجوارها في هذه اللحظات.. لكن ما باليد حيلة.. كيف أظهر في مثل هذه المواقف.. الحمد لله.. ربنا يتمم الأمور على خير وتمر تلك الأزمة الفظيعة.

fb/mashro3pdf

11

لم تتوقف ليلى عن البكاء منذ أفاقت من البنج بعد عملية الإجهاض. خرجت من المستشفى بصحبة سالي إلى بيتها. قالت لها سالي.. لتبقى معي حتى تتعافي وتتمالكي نفسك.. نتونَّس ببعضنا بعضًا وتبعدين عن البيت حتى تهدني.. قالت لها ليلى بانكسار.. لقد كرهت البيت وكل شيء من رائحته.. لا أريد شيئا يذكرني به.. أشعر بألم فظيع وحزن جارف.. ياه!.. هل هُنت إلى هذا القدر.. يتركني معلقة كل هذه الشهور.. لا يكلف نفسه حتى بالإجابة.. سواء بنعم أو لا.. كأنه يعتبرني مجرد عشيقة.. لا يحق لها التساؤل عن مصيرها، ولا تستحق الإجابة... لا... لا يمكن أن يستمر هذا الوضع.. ولا أريده.. ليذهب إلى الجحيم.. أنا لست عشيقته.. لقد كنت امرأته.. وهو رفض أن يكون رجلي.. لماذا كل هذا الهوان.. أحاديث ومناجاة طويلة بينها وبين نفسها ومع سالي.. أنت لا تستحقين كل هذا.. لطالما رددت سالي ذلك على مسامعها.. أنت فنانة معروفة.. جميلة وجذابة.. ما زلتِ صغيرة وأي رجل يتمناكِ.. أفيقي لنفسك وشوفي مصلحتك.. يكفيكِ كل هذه المدة التي ضيَّعتِها معه.. هو فاكر إنه سيشتريكِ بفلوسه.. طظ فيه وفي فلوسه.. دا أنت تاخدي سيد سيده.. مناجاة وحوارت لم تنقطع في الأيام التي قضتها ليلى مع سالي.. لم ترد على تليفوناته فيها.. أغلقت الموبايل في النهاية..

fb/mashro3pdf

كانت سارحة بفكرها معظم الوقت.. تنسرب الدموع من عينيها بلا وعي ويظلل الحزن ملامحها... فقدت شهيتها للطعام وحاربت معها سالي لكي لا ترضخ وتقاوم لتسترد صحتها التي ساءت في الأشهر الأخيرة.

12

– سأسافر إلى بيروت.

فاجأت ليلى سالي بقرارها. تساءلت مستوضحة:

– ماذا تعنين؟

أجابتها على الفور كمن فكر مليًا في الموضوع وحزم أمره:

– سأبقى فترة هناك أستريح فيها من كل الضغوط، وكذلك لأبعد عن القاهرة في الفترة القادمة.. الحمد لله ليس عندي ارتباطات عمل هنا، وأستطيع أن آخذ إجازة طويلة بعيدًا عن المشاكل.. لا أريد أن أراه مرة أخرى، ولا أريد متابعة منه أو إلحاحًا.. لقد انتهى الأمر.. صفحة من حياتي طويتها إلى الأبد.. أفضل لي أن أقضي الوقت مع ابني وأنسى ما مر بي.. أفكر بعدها فيما أنوي أن أن أفعله.

fb/mashro3pdf

– ومتى تنوين السفر؟

– في خلال أيام. سأتصل بشركة السياحة لحجز تذكرة السفر. أريدك أن تأتي معي إلى الفيلا لآخذ ما أحتاجه للسفر، سأذهب بعد ذلك إلى بيت أختي لقضاء يومين معها ومع ماما قبل السفر.

تساءلت سالي بتوجُّس:

– أفهم من ذلك أنك ستبقين ببيروت لفترة طويلة؟

– ليست في ذهني أي فكرة.. سأترك نفسي على سجيَّتها.

13

منذ عملية الإجهاض لم ترد على تليفوناتي!.. ما الحكاية بالضبط؟.. هل هي غاضبة مني؟.. وماذا فعلت لها؟.. هل كانت تنتظر أن أهلل مرحبًا بخبر حملها؟!.. كأنها تعاملني كزوجها!.. ما الخطأ في أني طلبت منها التخلص من الطفل؟.. ثم لماذا لا ترد على تليفوناتي.. لقد مضى أسبوع الآن وأنا أحاول الاتصال دون جدوى.. أريد أن أطمئن عليها.. لقد قلت لسالي أن تطمئنني عليها.. لماذا لم تتصل؟.. هل أوصتها بعدم الاتصال.. لا أعرف رقم تليفونها.. وأين هي الآن؟..

fb/mashro3pdf

غادر المكتب فجأة واستقل سيارته إلى التجمع الخامس.. توقف أمام الفيلا.. الباب مغلق بالسلسلة والقفل!.. أين هي؟.. هل ما زالت عند سالي.. كل هذه المدة!.. غير معقول!.. هل ذهبت عند أختها.. وما العمل الآن؟!.. تحرك بالسيارة عائدًا إلى المدينة.. توجه إلى بيت أختها بالمهندسين.. وقف تحت البيت لا يدري ماذا يفعل.. هل يسأل البوَّاب؟.. وماذا يقول له؟.. لا لا.. وبماذا سيفيد البواب؟.. يجب أن أعرف ما يجري.. ماذا تقصد بعدم الرد؟.. تحرك بالسيارة هائمًا على وجهه.. لم يتجه إلى البيت.. دار بالسيارة بلا وجهة.. نظر إلى ساعته.. الساعة تقترب من الثالثة ظهرًا.. استقرت قطرات خفيفة من المطر على زجاج السيارة.. ما لبث المطر أن اشتد.. بدأ السير يتباطأ.. اتجه أخيرًا صوب البيت.

14

مع مرور الوقت يزداد التوتر والقلق، وينعكس على الجميع في صورة عصبية في التعامل ونمو للغضب. اضطر للسفر في رحلة عمل، فغادر القاهرة على مضض دون أن يتمكن من رؤيتها. لم تفارق ذهنه طوال مدة السفر. عاد بعد أسبوعين وحيرته تزداد في مقابل عدم ردها على أي من تليفوناته، التي لم ينقطع عنها

fb/mashro3pdf

طيلة مدة سفره. عاود المرور على الفيلا بالتجمع الخامس ليجد الوضع على ما هو عليه، الباب الخارجي مغلق بالسلسلة والقفل. كاد يجن. الوقت يمر ولا جديد.. هل هي القطيعة؟!.. وبهذا الشكل الحاد؟ ماذا حدث ليستدعي كل هذا؟!.. الأمر ابتدأ بإثارة موضوع الزواج.. ثم مشكلة الحمل هذه.. أتختفي بهذه الصورة بعد كل ما فعلته من أجلها.. لقد صرفت عليها الملايين.. بنيت لها الفيلا دون أن تدفع مليمًا واحدًا.. أغدقت عليها بالنقود والمجوهرات ما كانت لا تحلم به.. ثم تختفي هكذا!.. هل هذا معقول؟!.. وتنسى كل ما كان بيننا!.. لا.. لا يمكن.. أنا.. أنا لا أتصور أن أفقدها.. وبهذه السهولة.. يجب أن أجدها بأي طريقة.. لكن كيف التصرف؟.. أين ذهبت؟.. لا يمكن أن تترك بيتها كل هذه المدة.. هل تكون قد سافرت؟.. وإلى أين؟.. هل يمكن أن تكون قد ذهبت إلى بيروت لترى ابنها؟.. أتسافر دون أن تبلغني؟!.. يا سلام!.. واضح أنها تنوي على الغدر.. لا يمكن أن أسمح بذلك.. يجب أن أجدها.. أن نتكلم في الموضوع.. الحكاية ليست فوضى!.. لست أنا من يرضخ لهذا الوضع.. من يوضع أمام الأمر الواقع ويُلوَى ذراعه.. سأجدها حتى لو كانت في آخر الدنيا.. لن تضيع مني.. لن أسمح بذلك مهما كلفني ذلك..

fb/mashro3pdf

15

يستطيع خالد أن يعمل بكفاءة مهما كانت الضغوط التي يتعرض لها، فالرغبة العارمة في التفوق والنجاح تتغلب على ما عداها من معوقات، لقد أصبح قوة لا يستهان بها في عالم الأعمال في كل من مصر والبلاد العربية، كما أصبح في ذات الوقت مركز قوة في الحزب، وله كلمة مسموعة بفضل ذكائه الحاد ودعمه المالي للحزب، مع زملائه من رجال الأعمال المرموقين، تطورت أعماله باطراد، وتوسعت إلى أن أصبح في الصدارة في مجال المقاولات والاستثمار العقاري، فازت شركاته بالعديد من المشروعات في بلاد الخليج، ودخل في علاقات عمل متشابكة مع كبار رجال الأعمال العرب في كثير من المجالات الاستثمارية. طموحاته ليست لها حدود، تنمو مع نمو النجاح والقوة.

دخل فصل الصيف دون أن يصل إلى نتيجة حول اختفاء ليلى، تنامت ثورته عليها وفاض غضبه.. هل سيقف مكتوف الأيدي ينتظر ما تجود به الأقدار؟.. وهل كان ذلك الرجل في يوم من الأيام؟.. لا بد من التحرك الحاسم السريع.. لكن كيف؟.. يجب أن يبحث عنها في البداية.. ومن أفضل من يقوم بهذه المهمة؟.. هو.. لا يوجد من هو أفضل وآمن منه.. مختار العسكري.. لقد أثبت دائما كفاءته في التصرف.. والأهم من ذلك أنه محل ثقة لا جدال فيها.. لقد أغدقت

fb/mashro3pdf

عليه ما هو أكثر من الكفاية.. ولقد أصبح رهن إشارتي في كل ما أطلبه منه.. يعرض دائما خدماته.. ولا يتورع عن فعل أي شيء في سبيل الوصول إلى غايته.. هو فعلا الشخص المناسب.. سأكلِّفه بمهمة البحث عنها ومعرفة أخبارها أينما وجدت.. أين ستذهبين مني؟.. لم تخلق بعد مَن تستطيع خداعي أو اللعب بي.. بعد كل ما فعلته من أجلها لن أسمح لها بأن تستغفلني.. الأيام بيننا يا ليلى.. وستعرفين مع مَن تلعبين.

16

طلب من سكرتيرته استدعاء مختار العسكري على وجه السرعة، عندما أبلغته أنه غير موجود في المكتب بان الإحباط على ملامحه، فكَّر قليلا ثم طلب منها أن يحضر إليه للأهمية بمجرد وصوله. سرح بفكره وهو يشرب فنجان قهوته.. كيف يحدث كل هذا؟.. شيء لا يصدق.. يفقدها فجأة بهذا الشكل.. وها هي الشهور تمر.. زفر زفرة عميقة محمَّلة بالحيرة والألم.. لكم أشتاق إليها.. لا أستطيع أن أتصور الحياة بدونها.. لم تمهلني الفرصة الكافية.. لكني لم أكن أستطيع الزواج بعد حديثي مع الحاجة ورفضها.. وما العمل؟.. هل يمكن أن نتزوج عرفيا؟.. وهل تقبل؟.. ليس أمامي حل آخر..

fb/mashro3pdf

أستطيع أن أقبل المغامرة بزواجها عرفيًا.. حتى لا أفقدها.. لا يمكن أن أفقدها.. ترى!.. إذا رفضت الزواج العرفي.. فهل يمكن أن نتزوج في الخارج؟!.. في بيروت مثلا.. أبني لها بيتا هناك وأزورها كلما استطعت.. وهل توافق على الابتعاد عن مصر؟.. ومستقبلها الفني!.. أنا لا يعنيني مستقبلها الفني.. لا أريدها أن تشتغل في هذه المهنة أصلا.. لكن المهم أن توافق هى.. في هذه الحالة يمكن أن نتزوج سرًا.. لا يعرف بذلك أحد في مصر.. إنها لم تعطني الفرصة لنتحدث في الموضوع.. كان من المفروض أن تتكلم معي قبل أن تختفي بهذا الشكل.. لكم أشتاق إليها.. ياه!.. ارتسمت بسمة على شفتيه.. هز رأسه أسى.. المهم أن أجدها ثم بعد ذلك يحلها ربنا.. لننته من هذه المهمة في البداية.. رفع السماعة وسأل السكرتيرة.. ألم يصل بعد؟.. اتصلي به على الموبايل وأبلغيه بأنني أريده على وجه السرعة.. وضع السماعة بغضب وهو يتمتم في غيظ.. راح فين الحيوان دا؟!.. طلب قهوة أخرى وجلس ينتظر قدوم مختار العسكري... يجب أن أرتب أفكاري جيدا... كيف سأعرض عليه الأمر... يا سلام!.. ومن يكون هو؟.. حتة موظف عندي.. يتلقّى الأوامر وينفذها من سُكات.. أنا الذي أفتح له بيته وأدفع مرتبه. رن التليفون فالتقطه.. قال على الفور.. خَلّيه يدخل..

انفتح الباب ودخل مختار العسكري.. صباح الخير يا خالد بك.. حضرتك سألت عليّ..

fb/mashro3pdf

– أين كنت؟

– والله كانت توجد مشكلة بسيطة بموقع طريق السويس فمررت عليهم قبل الحضور إلى المكتب.

أشار إلى الكرسي أمام المكتب وقال له:

– اقعد.

ران الصمت للحظات تنحنح بعدها خالد ثم قال بلهجة جدية:

– أريد أن أكلمك في موضوع مهم، لكني أريده أن يكون بيننا فقط، لا يعلم به أي أحد.. مفهوم؟

– طبعًا يا خالد بك.. أنا أعتبر نفسي مؤتمنًا على أسرار الشركة.. وهذا أساس عملنا الأمني على وجه العموم. إن كل ما سبق وكلفتني به هو شيء لم يخرج عنا على الإطلاق.. اطمئن يا خالد بك.

– عظيم.. هل تعرف الفنانة ليلى يسري؟

– طبعا يا افندم.. وأعرف أن الشركة بنت فيلتها في التجمع الخامس.

صمت خالد لبرهة ثم استجمع نفسه وقال:

– ليلى يسري اختفت منذ فترة، تقريبا منذ يناير الماضي..

fb/mashro3pdf

ولم نستطع أن نستدل على مكانها.. الآن أريد أن أوكل إليك هذه المهمة، هل أستطيع أن أعتمد عليك؟

فكر مختار سريعًا قبل أن يتساءل:

– هل توجد أي بيانات عنها يمكن أن نستدل بها في البحث عنها؟

– سأعطيك كل البيانات اللازمة، عناوينها وعناوين أهلها، كما أنها من أصول لبنانية.. أمها لبنانية وكانت متزوجة من ابن خالتها، طُلّقت منه، ولها ولد يعيش مع أبيه في لبنان. كل ذلك ستعرفه بالتفصيل.

سرح مختار بفكره قليلا ثم تساءل:

– طبعا هذه المهمة قد تستدعي سفري إلى بيروت؟

– سيكون لك مطلق الحرية في الحركة، وسأعطيك إجازة مفتوحة من الشركة إلى جانب جميع الاعتمادات المالية التي تحتاجها، وستكون بشكل مباشر بيني وبينك وليست عن طريق الحسابات.

فكر سريعًا ثم قال:

– مفهوم يا افندم.. إذا كان الأمر كذلك فلا توجد مشكلة.. لكن حضرتك تريد أن تعرف مكانها فقط أم تريد أن نحضرها إليك؟

fb/mashro3pdf

ابتسم خالد ابتسامة ذات مغزى ثم سأله:

– وهل تستطيع؟

أجابه على الفور:

– يا افندم لو أردت أن أحضرها لك في صندوق، أنا تحت أمرك.. كل شيء ممكن ما دامت الإمكانات متوفرة.

نظر خالد إليه متفحصًا ثم قال له:

– اعتبر الميزانية مفتوحة، ولك مكافأة لا تحلم بها.. لكن فلنبدأ أولا بمعرفة مكانها.. أريدك أيضًا أن تعرف كل شيء عنها، ماذا تفعل الآن ومَن تقابل؟ جميع حركاتها وسكناتها.. كل شيء.. أريد تقريرًا مفصلا وبأسرع ما يمكن.

– تحت أمرك يا افندم، أنا جاهز للبدء، في أي وقت تأمر.

fb/mashro3pdf

17

عاد إليه مختار العسكري بعد نحو أسبوع ليبلغه أنه بحث عن ليلى في كل مكان يمكن أن تكون فيه دون جدوى، توصَّل بعد ذلك عن طريق اتصالاته أنها غادرت القاهرة إلى بيروت في أوائل شهر فبراير بعد مراجعة قوائم المسافرين إلى الخارج. امتقع وجه خالد لسماع الخبر.. سافرت إلى بيروت.. نعم، هي نفس الفترة التي اختفت فيها بعد عملية الإجهاض.. ماذا تفعل في بيروت؟.. وكل هذه المدة؟.. هل تنوي أن تستقر هناك؟.. وشغلها هنا؟.. إذن هي قررت أن تبتعد.. أن تقطع العلاقة.. معقول!.. وبهذه البساطة.. بعد كل ما فعلته من أجلها!.. لا أستطيع أن أصدق!..

قطع مختار صمته متسائلا:

– ما رأي سيادتك الآن؟.. هل أسافر إلى بيروت؟

انتبه على سؤاله فاستجمع تفكيره وسأله:

– وهل أنت متأكد أنها ما زالت هناك؟

– على الأقل لم تعد إلى مصر، لقد راجعنا قوائم الوصول منذ تاريخ سفرها.

هز خالد رأسه وعلامات التصميم تظهر على ملامحه، قال له:

fb/mashro3pdf

– إذن لتسافر فورا.. وكما سبق أن أبلغتك.. أريد معرفة كل شيء عنها.

– تحت أمرك يا افندم، وسأكون على اتصال بك.

– لا أريدك أن تُضيِّع دقيقة واحدة هناك.. أنتظر معلومات منك على وجه السرعة.. مفهوم.

– تمام يا افندم... أي أوامر أخرى.

– لا.. تفضَّل أنت.

18

فترة عصيبة مرت على خالد منذ علمه بسفر ليلى إلى بيروت وبقائها هناك، ثم سفر مختار العسكري ليتقصىَّ أخبارها. ينتظر بفارغ الصبر أي أخبار عنها. رغم كل هذه الضغوط كان خالد قادرًا على تأدية مهامه في مجال عمله وفي نشاط الحزب بانتظام. الأعمال تتوسع باطراد، والنجاح يحالفه في كل خطواته العملية، موهوب بالفطرة ويستطيع أن يؤدي في أصعب الظروف، كذلك كانت مكانته في الحزب تتوطد بانتظام، فهو عضو مؤثر بكفاءته التنظيمية وإسهاماته المالية، حضوره يشع فيحجب الرؤية عن

fb/mashro3pdf

الكثيرين ممن يجاهدون للفوز بالثقة والمكانة. يتحرك في هالة من الكاريزما يمتلكها كهبة يمنحها القدر للقليلين، ووسط جوقة من بطانته تحيط به كالكواكب تدور حول الشمس تابعة ومسبِّحة، توسّع له الطريق، وتعلن عنه بكل الولاء والخنوع. قوة وسطوة وسيطرة وتألق وصعود واثق معتد.

كان يتلقى الاتصالات التليفونية من مختار العسكري من بيروت، يعطيه التقارير بانتظام عن حركته واتصالاته، وما وصل إليه من معلومات غير مؤكدة، ويسترشد بتوجيهات خالد، يتلقى طلباته وأوامره، ويحاول طمأنته على أنه يسير في الطريق الصحيح للوصول إليها.

19

بعد أكثر من شهر من وصوله إلى بيروت، اتصل به مختار العسكري مهللا.. أخيرا يا افندم توصلت إلى المعلومات المؤكدة عنها، بل ورأيتها بنفسي وهي تصعد إلى المبنى الذي تسكن فيه... التقط أنفاسه فعاجله خالد آمرًا.. هات ما عندك بسرعة.. قال له مختار.. إنها تتحرك يا افندم بين مكانين، شقة في رأس بيروت وقصر في الجبل تذهب إليه مع أحد رجال الأعمال الخليجيين

fb/mashro3pdf

عندما يجيء إلى بيروت أسبوعيًا تقريبًا... قاطعه خالد بعصبية.. وما صلة رجل الأعمال هذا بها.. والله يا افندم لا أعرف بالضبط.. هل هو زوجها أم العلاقة رَفَق.. لكن ما سمعته وسوف أراقبه في الفترة القادمة أنها تذهب معه إلى قصره بالجبل بمجرد وصوله إلى بيروت، وتعود إلى شقتها بعد سفره.. لقد توصلت إلى هذه المعلومات أخيرًا ولكني سأحتاج إلى تأكيد تفاصيلها..

صمت خالد وقد تغيرت ملامحه متشحة بالغضب الواضح.. سأله مختار.. أيوه يا افندم.. أي أوامر؟.. تمالك نفسه وأجابه باقتضاب.. أريد منك كل التفاصيل عن هذا الرجل.. وعن بقية تحركاتها.. وبسرعة.. مفهوم..

تحت أمرك يا افندم.. وتأكد أنني لا أدخر جهدًا في الوصول لكل التفاصيل.. سأتصل بك بمجرد أن أحصل على معلومات جديدة.. قاطعه خالد.. سأنتظر منك اتصالا يوميا تعطيني فيه تقريرًا عما وصلت إليه.. تحت أمرك يا افندم..

أغلق خالد الخط وجلس في مكانه لا يحرِّك ساكنًا.. بدت أنفاسه مضطربة ووجهه ممتقعًا لما سمع.. غير معقول.. لا أكاد أصدق.. تتركني هنا في القاهرة وتهرب إلى بيروت لتدور على حل شعرها.. ياه!.. بهذه البساطة!.. وبعد كل ما كان بيننا.. أكاد أجن.. لا أحتمل مجرد الفكرة.. أن تكون بين أحضان رجل آخر.. يا لها من فاجرة..

fb/mashro3pdf

مخلوقة حقيرة لا تستأهل ما فعلته من أجلها.. ومن يدري مع كم غيره مارست فُجرها.. طبعًا.. وجدت مغفلا آخر يغدق عليها.. نقرات خفيفة على باب الغرفة، وفتحت السكرتيرة الباب لتطل برأسها.. قال لها قبل أن تنطق بكلمة.. لا أريد أحدًا الآن.. انسحبت السكرتيرة واجمة.. كلماته قاطعة ووجهه مكفهر.. ظل قابعًا على مقعده يكاد لا يتحرك.. كيف أستوعب هذا الذي سمعته؟.. هل يكون مخطئا؟.. لا يمكن أن يقول كلامًا بهذه الخطورة ببساطة هكذا.. سأتصل به.. سحب الموبايل من أمامه واتصل به مرة أخرى.. جاءه الصوت من الطرف الآخر.. هل أنت متأكد مما قلته؟.. هل رأيت ذلك الرجل بنفسك؟.. هل تأكدت أنها ليلى يسري؟.. راجع كل المعلومات بدقة.. وإياك أن تكون متسرعًا أو مخطئًا.. أغلق الخط وجلس واجمًا.. ما العمل؟ لا أستطيع أن أفكر.. لا أريد أن أرى أحدًا.. لن أستطيع الذهاب إلى البيت الآن.. فكر لبرهة ثم رفع سماعة التليفون وقال للسكرتيرة.. احجزي لي سويت في أحد فنادقنا وأبلغيني.. سأقضي يومين في الفندق.. التقط الموبايل واتصل بهدى.. آلو يا هدى.. إيه أخباركم؟.. أنا سأقضي يومين في الفندق مع وفد من رجال الأعمال الأجانب وصل اليوم لمفاوضات مهمة خاصة بتعاوننا معهم.. المفاوضات مهمة وستستغرق وقتًا طويلا ومن الأفضل أن أكون مرافقًا لهم معظم الوقت.. كلميني لو أردتم أي حاجة.. سلام.. ألقى بالموبايل أمامه على المكتب..

fb/mashro3pdf

على الأقل أخلو لنفسي حتى أتماسك من وقع هذه الأخبار.. هز رأسه تعجبًا.. تعيش مع رجل ببيروت.. حقًا.. اللي اختشوا ماتوا.. طيِّب!.. حا تروحي مني فين!.. سوف نرى.. نقرات على الباب وأطلت السكرتيرة.. تم الحجز يا افندم.. سويت في فندق التجمع الخامس.. شكرًا.

20

غادر المكتب مكفهرًا في ساعة متأخرة، صرف السائق واستقل السيارة متجهًا إلى التجمع الخامس، وجد نفسه يتجه لا شعوريًا نحو فيلا ليلى، أبطأ السير وتوقف أمامها، نفس المشهد، المكان الذي كان يصل إليه فرحًا مقبلا، ها هو يستقبله قفرًا موحشًا.. ياه.. يا لها من وَحشة!.. أهكذا تنتهي الأمور!.. كل هذا فعلته من أجلك ثم تستديرين وتغادرين.. بلا حياء.. لا تكلفين خاطرك بأن تبلغي الشخص الذي قدم لك كل هذا دون تردد بأنك ستسافرين.. أو تفسري موقفك له.. لن يمر هذا التصرف على خير.. ستدفعين الثمن غاليًا.. لست أنا من يُهزم من امرأة عاهرة مثلك.. ولا من أي مخلوق.. لم يوجد بعد على ظهر الدنيا من يستطيع أن يخدع خالد قدري أو يجبره على شيء لا يرضاه.. بصق بصقة عصبية محمَّلة

fb/mashro3pdf

بالغضب من نافذة السيارة قبل أن ينطلق مسرعًا صوب الفندق.

استُقبِل بالحفاوة المعتادة في الفندق، وتوارد المسئولون للترحيب به، قاده مدير الفندق إلى السويت المحجوز له، شكره وصرفه بلباقة ليخلو إلى نفسه متخلصًا من الحفاوة والاهتمام الزائدين عن احتماله في هذه الظروف.

نقرات خفيفة على الباب بعد قليل، عربة محملة بالفاكهة والمأكولات الخفيفة والمشروبات، جاء بها مدير الأغذية والمشروبات، تركها وانصرف. خلع ملابسه ودخل للاستحمام ثم خرج وارتدى ملابسه، التقط تفاحة أكلها ببطء وهو يتجه إلى الشرفة، لم يأكل منذ الصباح لكنه اكتفى بذلك. جلس بالشرفة واجمًا، كان الليل قد بدأ يهبط متهاديًا كليالي الصيف المتئدة.. مر الوقت عليه وهو مستغرق في صمته وغارق في أفكاره.. لم يستطع النوم قبل ساعة متأخرة من الليل.

21

استيقظ مبكرًا في الصباح، تقلب في الفراش كثيرًا، لكنه لم يستطع أن يستكمل النوم، نهض بعصبية وفتح الشرفة، كان الإجهاد باديًا على ملامحه، توتر وانفعالات ونوم شحيح. طلب الإفطار في الغرفة ودخل ليستحم. جاءه الإفطار فصب فنجانًا من الشاي

fb/mashro3pdf

وجلس صامتًا ومهمومًا، حاول ابتلاع بعض اللقيمات بصعوبة، اكتفى بإفطار بسيط وطلب قهوة من خدمة الغرف.

مر عليه يوم عصيب، بدا عليه الإنهاك في نهايته، أجرى بعض الاتصالات التليفونية الضرورية في أضيق الحدود. اتصل بمختار في بيروت، وأجرى معه حوارًا سريعًا، وعده مختار بالعودة إليه بمجرد وصوله إلى مزيد من المعلومات.

مرت عليه الليلة الثانية بالفندق مثل الأولى، أرق ونوم متقطع وعصبية. كان الإرهاق من التفكير وقلة النوم قد أنهكه. اتصل به مختار العسكري من بيروت في وسط النهار.. أيوه يا مختار.. ماذا تقول؟.. الرجل وصل اليوم.. مر عليها من المطار وأخذها إلى بيتهّ في الجبل.. هل رأيتهما بنفسك؟.. فكر قليلا والغضب يكسو ملامحه ثم قال له.. اسمع.. تعالَ فورا.. احجز اليوم وتعالَ على أول طائرة.. أريد أن أراك اليوم.. سأنتظرك.. إن لم تستطع الحضور اليوم فغدا على الأقصى.. أنا في الفندق في التجمع الخامس.

22

راح ينتظر إمكانية قدوم مختار من بيروت، وهو من القلق والتوتر في غاية. هل سينجح في إيجاد مكان في الطائرة؟.. مر

fb/mashro3pdf

الوقت كسيحًا ممتدًا كعادة أوقات الانتظار.. الحقيرة.. هي الآن بين أحضانه وأنا هنا أتعذب.. اللعنة.. ياه!.. لا أستطيع أن أتصور أو أستوعب.. العذاب يمزقني.. لم يستطع أن يتناول طعامًا يذكر.. بلغ منه الإجهاد مبلغًا حتى شارف على الإعياء.. حل الغروب فالمساء ولم يصل مختار.. ألم يستطع التصرف؟!.. حيوان صحيح.. توغل المساء حتى انتصف الليل.. أكل لقمة بسيطة ليتغلب على الإعياء. ارتمى في الفراش لعله يستطيع النوم. راح في نوم متقطع مزعج محتشد بالكوابيس.. ينتتر من النوم منزعجًا.. يشرب جرعة ماء ويحاول الهدوء ليعاود النوم.. راح في نوم عميق مع بزوغ الفجر واستيقظ بعد الضحى.. ياه.. ما هذا الصداع!.. رأسي يكاد ينفجر.. طلب من الاستقبال دواء للصداع.. إسبرين أو بانادول.. تحرك ببطء واتجه إلى الحمام ليغتسل عله يفيق قليلا من الصداع والإرهاق.

بعد الإفطار والقهوة جلس ينتظر أخبارًا من مختار. بعد الظهيرة بقليل اتصل به مختار، وأبلغة أنه يتصل من مطار القاهرة، وأنه في طريقة إليه. تنفس الصعداء وطلب فنجان قهوة. أخذ يذرع الغرفة رائحًا جائيًا وقد نفد صبره المُجهَد.

fb/mashro3pdf

23

وصل مختار العسكري إلى الفندق وصعد إليه على الفور. استقبله بلهفة وهو يقول له مرحبًا:

– حمد الله على السلامة.. ألم تستطع أن تجد مكانًا على الطائرة بالأمس؟

– لا للأسف الوقت كان متأخرًا.. خير يا افندم.. تبدو مرهقًا..

– لا أبدًا.. لم أنم جيدًا الليلة.. اجلس.. أبلغني الأخبار..

– كما قلت لك يا افندم.. هي على علاقة برجل أعمال من الخليج.. يجيء إلى بيروت أسبوعيًا.. يمر عليها حيث تسكن في رأس بيروت، ويصحبها إلى قصر يملكه في الجبل.. عرفت أنها على علاقة به منذ شهور، لكني لم أستطع معرفة إذا كانت قد تزوَّجته أم لا.

أخذ خالد يستفسر منه على أدق التفاصيل حولها وحول الرجل، أعطاه مختار كل ما حصل عليه من معلومات، ونوه إلى التكاليف الباهظة التي تكلفها في بيروت قائلا.. كل شيء باهظ التكاليف في بيروت.. صحيح أنك تستطيع أن تحصل على ما تريد، سواء المعلومات أو الخدمات مهما كانت، لكن كل شيء بثمنه.

علق خالد على ملاحظته:

fb/mashro3pdf

– لا تهتم بالمصاريف.. قدم لي كشفًا بها.

– يا افندم خيرك سابق.

ران الصمت بينهما وخالد سارح في تفكيره، وقد ازدادت ملامحه تجهمًا مع كم التفاصيل التي استمع إليها. تمتم بعد قليل:

– يا لها من غادرة.. لقد عَضَّت اليد التي مُدَّت إليها.. سوف نرى!..

– لكم أدَّبنا غيرها يا خالد بك.. وأنت تذكر.. لا تنعَ الهم، أنت تأمر ونحن ننفذ.

راح خالد في تفكير عميق ثم تساءل بعدها:

– لكن ماذا تستطيع أن تفعل في بلد غريب؟!..

– يا افندم حضرتك تتكلم مع شخص محترف.. كل شيء ممكن في لبنان ما دمت قادرًا على دفع المطلوب.. ثم إنها ليست أول مشكلة تُقابلنا.

– لكنها مشكلة ليست بالهينة.

– يا افندم كما قلت لحضرتك.. أنا كفيل بها.. ماذا تريد أن نفعل معها؟.. هل تريد أن نؤدبها هناك.. أو حتى ننتهى من أمرها تمامًا؟

fb/mashro3pdf

انتبه خالد لكلامه، ونظر إليه وهو زائغ النظرات ثم سأله بصوت مرتجف:

– وهل تستطيع؟

أجابه بعد لحظة تفكير عميقة:

– كما قلت لحضرتك.. كل شيء وله ثمنه يا افندم.. خاصة في لبنان..

قاطعه على الفور قائلا باندفاع:

– سأعطيك مليون دولار.

نظر إليه بتمعن ثم قال له:

– هذه عملية خطيرة يا افندم.. وستتطلب دفع مبالغ كبيرة في لبنان للحصول على الخدمات المطلوبة والحساسة في هذه الحالة.

– أوكي.. سأرفع المبلغ إلى مليونين.. 2 مليون دولار.

فكر مختار مليًا وقد ارتسمت على وجهه سيماء المفاوضين العتاة. قال بثبات:

– لنقل ثلاثة ملايين.. والنصف مقدمًا، شاملا المصاريف اللازمة.

fb/mashro3pdf

– أليس المبلغ مبالغًا فيه؟

– يا افندم هذه مسئولية كبيرة وقد تطير فيها رؤوس.

أطرق خالد مفكرًا بعمق لثوان ثم قال له:

– موافق.. لكن بشرط.. العملية مسئوليتك أنت بالكامل.. ولا دخل لي بها على الإطلاق.. لو حدث أي خطأ فأنت المسئول عنه.. ستتحمل النتيجة وحدك في مقابل المبلغ الذي ستحصل عليه.

أشع وجهه ببريق الانتصار وقال على الفور:

– اعتبر حضرتك الموضوع منتهيًا.. متى سنبدأ؟

– المبلغ سيكون جاهزًا من الغد.

– وأنا سأسافر بعد غد على الفور.

24

غادر مختار العسكري على اتفاق أن يحضر في اليوم التالي لاستلام المبلغ. تنفس خالد الصعداء.. كأنه قد نجح في تخطي عقبة جسيمة.. راح يسير في الغرفة كالمخدَّر.. أجرى بعدها اتصالاته

fb/mashro3pdf

لتوفير المبلغ.. طلب طعامًا وجلس ينتظره.. أحتاج للراحة.. سأسافر في إجازة لعدة أيام أستعيد فيها أعصابي.. لن أتمكن من العودة إلى البيت الآن.. أحتاج لمهلة للتماسك.. اتصل بهدى تليفونيًا وأبلغها بسفره.. قال لها إنه سيمرُّ سريعًا ليأخذ ملابسه واحتياجاته للسفر.. لا.. لن أغيب.. أيام قليلة وأعود.. سأمر غدًا وأنا في طريقي إلى المطار... أنهى المكالمة وجلس هادئًا وقد رتب كل شيء.. ترى إلى أين أسافر؟.. سأسافر إلى إيطاليا.. أقضي بضعة أيام هناك وأعود بعدها لأشوف شغلي.. هذا يكفي.. مرحلة وانتهت.

***

fb/mashro3pdf

خاتمة

استيقظت منال منذ الصباح الباكر لتُعِد ساندوتشات الرحلة، يوم رائق صحو من أيام نهاية فصل الصيف المعتدلة، والتي تتهيأ لاستقبال خريف القاهرة المنعش، بعد انقضاء الصيف الحار الرطب. تحركت في المطبخ تضع اللمسات النهائية للاستعداد للسفر إلى منتجع بساطة بنويبع، كعادتهما هي وناجي في مغادرة القاهرة بصخبها وتلوثها من آن لآخر، لائذين بالطبيعة الساحرة البسيطة بسيناء، تلك الجنة المباركة بالصفاء والسكينة.

بعد أن انتهت من استعداداتها، قامت بعمل الشاي لتوقظ ناجي ليستعد للرحلة. أعدت الشاي وذهبت إلى ناجي لتوقظه. راحت لتُحضِر الجرائد من أمام باب الشقة، حيث يقوم البوَّاب بشرائها مبكرًا ووضْعها أمام شقق السكان، كل حسب طلباته. انحنت لتأخذ الجرائد ثم فتحتها سريعًا لتتصفَّحها، شهقت فجأة وهي تقرأ عناوين الصحف، ثم اندفعت إلى ناجي في غرفة النوم حيث كان يشرب الشاي بتكاسل.. ناجي.. انظر المكتوب بالجرائد.. كان وجهها

fb/mashro3pdf

شـاحبًا فانتبه ناجي منزعجًا.. خير.. ماذا حدث؟.. ناولته الجريدة ليمتقع وجهه هو الآخر.. ما هذا؟!.. غير معقول!.. إحالة خالد قدري لمحكمة الجنايات بتهمة التحريض على قتل ليلى يسـري.. رجل الأعمال دفع ثلاثة ملايين دولار لضابط سـابق لتنفيذ الجريمة في بيروت... وجم ناجي وتصلَّبت يده ممسكة بالجريدة.. معقول هذا!.. هل تصل إلى هذا الحد؟!.. لماذا يا خالد؟.. كيف تنحدر إلى هذا الدَّرك؟.. خسـارة كبيرة.. لكم خشـيت عليه من نفسـه!.. لكم خشـيت عليه من نفسـه دائمًا!..

تمت،

نـعيم صبـري

القاهرة، 12 يونيو 2010

fb/mashro3pdf

صدر للكاتب

- يوميات طابع بريد، ديوان شعر، دار الحضارة للنشر.
- تأملات في الأحوال، ديوان شعر، دار الحضارة للنشر.
- بئر التوتة، مسرحية شعرية موسيقية، دار الحضارة للنشر.
- الزعيم، مسرحية شعرية، دار الحضارة للنشر.
- حديث الكائنات، ديوان شعر، دار الحضارة للنشر.
- يوميات طفل قديم، سيرة ذاتية للطفولة، دار الحضارة للنشر.
- أمواج الخريف، رواية، دار الحضارة للنشر.
- الابنة فاتن، رواية، دار الحضارة للنشر.
- أوبرا الأستاذ تحتمس، رواية، ط1: دار الحضارة للنشر، ط2: مدبولى.
- شـــبرا، رواية، دار الحضارة للنشر، مدبولى.
- الحي السابع، رواية، دار الحضارة للنشر.
- دوامات الحنين، رواية، دار الحضارة للنشر.
- بين الإغفاءة والصحو، رواية، دار الحضارة للنشر.

fb/mashro3pdf

- حـافظ بتاع الروبابيكيا، رواية، دار الحضارة للنشر.
- وتظـل تحلم إيزيس، رواية، مدبولى.
- المـُغَنِّي القديم، رواية، مدبولى.

البريد الإلكتروني:

http://www.naimsabry.com

naimsabry@gmail.com

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حل الغروب بعد قليل فالدنيا شتاء، أحضرت منال أغطية كافية لمواجهة برد الليل، العشة من الخوص والقش وبلا أبواب، في هذا المكان يتناغم المرء مع الطبيعة بحسب ناموسها وايقاعاتها، فالنوم مبكرا مع حلول الظلام والاستيقاظ مع بزوغ أول أضواء الفجر. دخلت منال للنوم وجلس ناجي على شاطئ البحر يتأمل الهدوء المحيط بالمكان، كانت النجوم ترصع السماء بوفرة آسرة نفتقدها في جو المدن الخانق الملوث. ملأ صدره من هواء البحر النقي وراح يراقب النجوم في علیائها والشهب التي تتساقط بين الحين والآخر، تبسم.. رحم الله الجدة.. كانت تقول عندما ترى شهابا يتساقط فسوف يتحقق لك ما تتمناه لحظتها.. الحقه بسرعة وتمن ما تريد.. انتظر متحفزا كأنما ليتمنى أمنية علها تتحقق له.. رغم أنه لا يؤمن بالغيبيات.

تصميم الغلاف: غادة طايع

fb/mashro3pdf

9 789774 903304

دار العين للنشر